ابن الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م
ردمك 978-9947-79-415-9 : (ISBN)
التوزيع الدولي: مصر-لبنان-العراق-السودان-الأردن

اسم العمل: ابن الجن
اسم المؤلف: سندباد
تصميم الغلاف: ل- سيف الدين
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: أحمد منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 50 28 76 0666 / 033 85 65 75

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

المثقف
للنشر والتوزيع

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

ابن الجن

الكاتب : سندباد

رواية

إهداء :

أُهدي عملي المتواضع إلى:

أول شخص آمن بي، وأحبّ كلماتي، و دعمني، و حقنني بتلك الجُرع من الحب، والطيبة، والنُّصح، والإرشاد ... التي أعادتني للحياة كم من مرة، والتي فجرت فيّ فعلا منابع الكلمات و أشياءً كثيرة جدا، و كانت لي نافذة أنظر بها اتساع العالم و جعلتني أؤمن بنفسي و أرى موضع الأشياء من حولي، ولم تبخل عليّ بشيء، إنها الشخص الوحيد الذي استطعت أن أقول له أحبك دون خوف أو رهبة، كانت ولا تزال وستبقى عملاقا تتربع في قلبي دائما، إلى أمي (ماري) ، وإني أعشقك حتى يتم انطفائي، حفظك الله وأسبغ عليك من كل النِّعم، وجزاك الله عني كل خير ، وإلى أخي الصغير أمير أيضا أو كما تسميه أمي دائما (أميري حارس حظيرة البجع) أحبكما ماما .

وإلى أميرتي المقدسة و فراشتي الحلوة ، وأجمل ألعابي و أحلى ألواني وأروع ريحانة بحديقتي، إلى تلك الحورية التي خلقها الله من رَوْحِ النعيم وأسكنها تلك الجنة المخفية داخلي التي بدونها تصير جنتي عدما باردا، و فراغا مرعبا متباعدا، إلى تلك الغيمة الماطرة، والشمس المشرقة، والزهرة المتألقة في ذاتي وفي كينونتي، تلك الروح التي تسكن وجداني، تلك الروح التي لا توصف ولا تُدرك بالحواس، إنها عروسة السكر أختي الكبرى والوحيدة وسر سعادتي أختي (شاهيناز لؤلؤة عنابة)، ليت كل العالم يعرف كم أحبك أختي ومتعلق بأدق تفاصيلك، لا أتمنى من الله

إلا أن يحفظك ويريح بالك ويسكن فؤادك ويفجّر ينابيع الرحمة والراحة في أيامك، ويرحمني بك، ولا يفجعني فيك، ولا يُريني فيك إلا ما يسرني ، شكرا لك على كل شيء لن أنسى فضلك ما حييت .

وإلى أساتذتي الذين تعلمت منهم أسرار الكلام: إلى روح محمود درويش الخالدة في سرمديتي المظلمة و لى روح نزار قباني ، وإلى تلك الشيطانة الجزائرية الجميلة الحلوة الدكتورة حنين عمر .

اللهم ارحم جدة زوا

البداية:

في يوم من أيامٍ شديدة الحرّ، كان الجو يكاد يتميز من الغيظ، مملوءا بالضجر، تتعرّق سماؤه ومشبعة ذرّات هوائه بالكآبة، تتغلغل في أجساد العباد وتقبض على قلوبهم، كانت الوجوه ساهمة صفراء لونها، مفزعة ملامحها، مختنقة تسير بثقل كأنما تُساق تلك الأجساد إلى المقصلة، حيث ستزهق أرواحهم إلى الأبد، كلّ العالم كان صامتا ويتحرك بلا وعي ولا إدراك حتى الطبيعة كانت عابسة بل شديدة العبوس والضجر، كانت كعجوز تجعّد وجهها بعدما طوت رداء شبابها في خزانة الأيام، وبعدما مصّ منها الدهر مخ عظامها وتركها هشة كعود شجرة محترق، كان الوقت يمر ثقيلا جدا وهو متشبث بعقارب الساعة، والبحار راكدة تماما، والجبال والأشجار وكل شيء كان منتصبا. قد بدا الآن، حان ظهوره كأنما زادت شدة الجاذبية وتغيرت قوانين كوننا الأنيق، كلّ من على سطح المعمورة أحسّ بشيء غريب لم يفهمه، وخارج غلافنا الجوي اشتدت حراسة أبواب السماء، يحسبها الرائي مصابيح تقدح في السماء أو عرسا مُقاما بين سكان السماوات العُلى، كان ميكائيل في هاته اللحظات يُنظم الصفوف ويطوف بالجنود يُؤهبهم، وإسرافيل عينه شاخصة إلى السماء ينتظر الإشارة لينفخ في البوق، وهناك في ظلام الآخرة يوجد جبريل...

قبل أن ينتصف الليل وقد سكنت كل سارية في الأرض وسابحة في السماء، عصف ريح في واد سحيق وغريب يثير غبارا كثيفا، ثم يهدأ الريح فجأة ويبقى الغبار معلقا في الأرجاء لا يتحرك إلى أي اتجاه، هناك في ذلك الوادي تجتمع في إحدى مغاراته السرية ثُلة من الجن والعفاريت وعتاة الشياطين وفقهاؤهم، يجتمعون في حجرة حجرية في أعماق الأرض مُؤمَنة بالأرصاد ومختفية عن الأنظار لا يصل إليها إلا ذو شأن منهم، بداخل تلك الحجرة طاولة طويلة من الياقوت المصقول، وفي الجدار الذي يقابل المدخل صنم منحوت بمهارة لأبي الجن سوميا، واقف وبيده صولجان تلمع في نهايته زمردة حمراء، يُقال إنه جاء بها من العالم الأعلى يوم نزل، وبجواره صنم آخر لشخص يجلس على كرسي ممرد وملامحه قاسية، بيده خاتم وكتاب للسحر الأسود يقولون إنه سيدنا سليمان، هناك تجتمع الجِنة عند كبيرهم، عجوز طاعن في السن لا يكاد يقوى على التنفس أو تحريك أنامله الممتصة. يتوزع الأعضاء بشكل عشوائي وجوههم عابسة ينتظرون اكتمال الأفراد ويلفّهم هدوء وصمت رهيب، بصوت مرتعش يقول كبيرهم:

ـ مرحبا هل وصل الجميع؟ اعذروني إني الآن بلغت عشرة قرون وقد شربت هاته السنوات نور عينيّ فأنا صرت لا أرى وأنتم صامتون ولم أستطع أن أعدكم، آصف هل أنت هنا؟

وهنا قام آصف بلهفة من مكانه، عفريت ضخم الجثة، مهيب الخلقة، كريه المنظر، غضّ الطباع، فض القلب، صوته كالرعد قال :

ـ مرحبا مولاي أنا هنا بين يديك.

ـ كبيرهـم يضحـك بصعوبـة ويقـول: صـارم كعادتـك يـا آصـف، ادن منـي يـا بنـي، وهنـا بـدأ كبيرهـم يتحسّـس وجـه آصـف ويقـول: أيهـا الشـاب كنـت ألـين مـن آخـر مـرة تحدثـت فيهـا معـك، يبـدو أن المـكان هنـاك قـاسي جـدا لكنـه يحتـاج إلى شـخص صلـب مثلـك، يكـح كبيرهـم ويكمـل كلامـه : قـل لي يـا آصـف هـل حـضر البقيـة؟

وبينـما هـم كذلـك حتـى دخـل عليهـم عفريـت آخـر لـه قرنـان سـوداوان، وملامـح قاسـية، وجسـده مفتـول العضـلات، يرتـدي درعـا زرقـاء عـلى صدرهـا نقـش يشـبه الرصـد، كانـت تلـك الـدرع قـد وهبهـا سـيدنا سـليمان لجـدّه، لأنـه كان وزيـرا في عهـده، وقـد بـوّأه ذلـك المنصـب لمـا أتى بعـرش بلقيـس، وبقيـت تلـك الـدرع ميراثـا لأبنائـه مـن بعـده.

و هنـا قـال آصـف بأسـلوب ضاحـك: ليـس بعـد يـا مـولاي فـالآن فقـط أتى ذو القرنـين.

ـ ضحـك كبيرهـم وقـال: آه ذا القرنـين، ثـم نـادى: سـلطان... سـلطان...، وأخذته الكحـة، اقـترب سـلطان مسرعـا منـه وقال:

ـ هنـا يـا مـولاي هنـا، عندهـا تحسّـس كبيرهـم يـد سـلطان وأخـذ يشـدّ عـلى الـدرع ويتمتـم كأنـه يسـتذكر شـيئا غائـرا في الذاكـرة، حـاول أن يشـدّ عـلى يـد سـلطان بقـوة لكـنّ أصابعـه الممتصـة أبـت ذلـك، ابتلـع ريقـه وقـال:

ـ سـلطان... إني لأتذكـر يـوم وهـب سـيدنا سـليمان هاتـه الـدرع لجـدك ولقـد كان جـدّك صديقـي، لكنـه كان قويـا وشـديد البـأس أكـثر منـي كان مثلـك تمامـا، كنـا يومهـا مصطفّـين بـين يـدي سـيدنا سـليمان وأدار وجهـه إلى الصنـم

المنحوت، كادت عيناه تفيضان بالدموع وأكمل قائلا: لقد استحق جدّك تلك المرتبة، كان يوما رهيبا حقا، استطاع جدك أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ إلى تدمر مدينة سيدنا سليمان في لمح البصر، وأثبت عظمته وكسب احترام الجميع، وحتى بعد حقبة سيدنا سليمان استطاع أن يحمي خاتمه وكتابه من يد ملوك الجن التي انقسمت وطفقت تنهال عن السلطان، ورغم أنه ضيّع العصا إلا أنه ردع الجميع وحافظ على الأهم، صمت قليلا شاردا وقال: الخاتم والكتاب وأشار إليهم بوجهه وأكمل: إن من ملك الخاتم مَلك مُلك سليمان وسُخّرت له الجن والطير والرياح وملكوت الأرض، ومن ملك الكتاب علم بتصاريف الدنيا والأرصاد والأبراج وعلم أحوال الجن وشعوبها وطوائفها ومساكنها وكيفية تطويعها وتغلغل في أعماقها وعلم كل شيء عنها، وقد كتبه مولانا سليمان بنفسه وخط يده، سلطان لقد كان جدك عظيما ومات عظيما وبقيت أنا ينهشني الضعف ويشربني على مهل حتى لم يبق مني شيئا، وإني لمغادر إلى جدك الليلة، فيكح كبيرهم على تعبه فيشدّ سلطان على يده ويقول: مولاي أنت متعب لا تجهد نفسك بل ستكون بخير وعلى خير فمن غلب كل تلك القرون وأطاح بها قرنا قرنا لهو الأقوى ولن تهزمه ليلة عابرة .

يضحك كبيرهم ويمسك يد آصف وسلطان ويجمعهما ويقول:

ـ لقد آخيت بينكما ولا يشدّ الأخ إلّا بعضد أخيه .

وهنا سمعوا صوت وقع خطوات حصان ورفرفة أجنحة، وعواء البوم، وقد اكتمل الجميع وطافوا كلهم حول كبيرهم وألقوا عليه التحية وقبلوا الأرض بين يديه، وكان في الحجرة السرية تحت الأرضين: آصف، وسلطان،

وميمـون ابـن ملـك مـن ملـوك الجـن، كان نصـف آدمـي ونصـف حصـان ينفـر بحوافـره نفـرا، وبرقـان شـيطان منحنـي الظهـر ذو أسـنان فوضاويـة التكويـن، كـث الشـعر، قصـير القامـة، يلبـس عبـاءة سـوداء، موحـش المنظـر، وكان هـو كبـير المنجمـين، وغابـر ابـن ملـك البحـار ومـع كل واحـد منهـم تابعـان مقربـان.

أوصـد البـاب الحجـري واكتمـل الحضـور وبعدمـا ألقـوا التحيـة عـلى كبيرهـم أخـذ كلّ منهـم مكانـه عـلى الكـراسي والتفـوا حـول الطاولـة وفي الوسـط جلـس كبيرهـم عـلى كرسـيه الممـرد، صفّـق كبيرهـم بيديـه فابتلـع الظـلام رمـاح الضيـاء، ثـم توقـدت في الهـواء شـعل مـن نـار تطلـق رماحـا أخـرى لتبيـد جيـش الظـلام، كان المنظـر مهيبـا والظـلال تداعـب الصنـمان المنحوتان لسـوميا وسـيدنا سـليمان عليـه السـلام، وهنـا قـد شـق كبيرهـم عبـاءة الصمـت وقـال:

ـ هات ما عندك يا برقان .

برقـان: لا أعـرف كيـف أفـسّر الأمـر يـا مـولاي لكـن شـيئا مـا يحـدث في السـماء، فمنـذ أن توليـت منصـب كبـير المنجمـين لم أر اسـتنفارا بـين أهـل السـماء كمثـل هـذا، لم يحـدث قـط أن يفشـل كل الشـياطين في مشـارق الأرض و مغاربهـا أن ينفـذوا مـن أبـواب السـماء، وكل مـن حـاول ذلـك مـا رجـع، إنـا يـا مـولاي وكأننـا سُـجنّا وقـد فشـل كل المنجمـين في مشـارق هاتـه المعمـورة ومغاربهـا في إلقـاء تعويذاتهـم وتعطلـت أرصادهـم وهاهـي التقاريـر بـين يديـك يـا مـولاي .

ـ كبيرهم : وأنت يا غابر كيف حال أبيك؟

ـ غابـر : بخـير يـا مـولاي ، كان توّاقـا ليقبّـل الأرض بـين يديـك لكـن العـارض

منعـه مـن أن يـبرح موقعـه.

ـ كبيرهم : وما الأخبار عندكم ؟

ـ غابـر: الأمـر مهـول يـا مـولاي، نحـن في المملكـة الزرقـاء كان كلّ شيء عاديـا ثـم فجـأة تغـيرت أشـياء بشـكل غريـب، وكأن بلحظـة مـا أصبحنـا لا ننتمـي إلى هنـاك، إن الملـح الـذي نتغـذى عليـه ونسـتمد منـه قوتنـا أصبـح يمتـصّ منـا الطاقـة التـي تـسري في أجسـادنا وتبعـثرت مسـاكننا، وهاجـت علينـا ميـاه الأعـماق كأنهـا تحاربنـا، كأنّ قـوة مـا لا نراهـا ولا نفهمهـا تنـوي سـحقنا، أعلـم أنـه قـد يبـدو غريبـا لكنهـا الحقيقـة، لم نفهـم مـا يجـري ولـذا أنـا هنـا بـدل أبي يـا مـولاي.

ـ كبيرهـم: بتمتمـة خفيفـة غـير مفهومـة ويـشرد قليـلا مـع نفسـه ثـم ينـادي عـلى ميمـون: وأنـت يـا ميمـون كيـف حـال أبيـك وحالكـم هنـاك في مملكـة الجبـال؟

ـ ميمـون: مـولاي نحـن في مملكـة الجبـال كنـا نظـنّ أن الأمـر مقتـصر علينـا فقـط، ولكـن تبـيّن لي أن عـالم الجـن يعيـش فـوضى مـا، و نحـن هنـاك في مملكـة الجبـال وأنـت تعلـم أن مسـاكننا تمتـد مـن جبـل الطـور إلى جبـل قـاف يـا مـولاي وهـذان الجبـلان متصـلان بعـروق الأرضـين السـبع وهـما بابـان مـن أبـواب النـار وأول مـا سـكن أبونـا سـوميا الأرض اسـتقر هنـاك ولطبيعتهـا الوعـرة وخوفـه عـلى نسـله مـن أن تفتـح عليهـم أبـواب جهنـم غـادر إلى هنـا في وادي الشـياطين وبقـي قليـل ممّـن رفضـوا المغـادرة، ورغـم أن مغاراتهـا وآبارهـا وجبالهـا الشـاهقة كانـت سـجونا في عهـد سـيدنا سـليمان إلا أننـا لم نبرحهـا وبقينـا هنـاك في مسـاكننا نعيـش فيهـا، و لم يحـدث قـط

أن فكّرنا بمغادرتها إلا في هاته الأوقات ، لقد تنفست من تحتنا جهنم يا مولاي، لقد نفثت النار في مساكننا وقذفت من أفواهها شعلا من السعير أظنها قد أحرقت أهل السماء وعصف الريح يدور مشكلا زوابعا من نار، إن الذعر سكن الجميع هناك وكلهم يفكرون بالهرب، يبدو لي أن عالم الجن سينتهي قريبا يا مولاي.

هنا صمت كبيرهم يفكر ويئن من تعب الكبر.

ـ قال برقان : يا مولاي لقد جمعت كبار السحرة والمنجمين وضرب كل منهم رمله وحجره وألقى تعاويذه وأرصاده لكن لا فائدة لم يفلح منهم أحد، لا أحد استطاع أن يأتي بشيء، ولا أعلم ما يُخط هناك في الصحف أو ما سيحدث لعالم الجن، وكنت سأبعث لك بالتقرير لكن سبقتني رسالة اجتماعك التي أرسلتها.

ـ يقول كبيرهم: نعم لقد وجب عليّ الاجتماع بكم الليلة إنها آخر ليلة في عمري.

قاطعه آصف قائلا: ما الذي تقوله يا مولاي؟ لن يحدث لك شيء ولن يحدث لعالم الجن شيء ما دمت أنا وسلطان مكلفان بحراسة ممالك الجن وأبواب السماء، لن يحدث شيء ما دامت أرواحنا في أجسادنا.

قال سلطان: نعم يا مولاي صحيح ما قاله آصف وسأعمل عمل جدي وأسحق كل من يتعدى هيبتنا، فقط دلّنا على ما يحدث ، وأشر علينا بما يجب أن نفعل يا مولاي.

قال ميمون: نعم يا مولاي وكلنا نحمل على عاتقنا مهمة الدفاع عن أنفسنا من هذا الخطر المستطير.

وهنا قام كبيرهم من مكانه متثاقلا لا يرى بعينه لكن عين بصيرته توجهه، كل الحضور كانوا يراقبون ما سيفعل وأين يذهب، وهو يئن ويتمتم كانت عباءته تسحب أذيالها وراءه تاركة وراءها دموع الشباب، وصل كبيرهم إلى أحد جدران القاعة وراح يتحسس بتلك الأنامل التاعبة ملامح الجدار حتى ضغط بيده على موقع قرب الزاوية و إذا بباب يُفتح وتظهر منه خلوة صغيرة فيها عمود من الرخام الأبيض يشع كأنه البلور و بجانبه صندوق من الخشب الأسود مغلف بخرقة من الحرير والجلد، كان الصندوق صغيرا ومغلقا بعناية نزل كبيرهم درجتين إلى تلك الخلوة التي لا أحد كان يعرفها غيره وأتى بالصندوق ووضعه أمام الآخرين على الطاولة وكل أحد من الحضور عينه شاخصة تحملق في غرابة تكوينه، نزع عنه الجلد وخرقة الحرير وهو يتحسسه وكان مصنوعا بمهارة وكأن الخشب مذاب على بعضه ليس له قفل أو مسمار يشده ببعضه، ثم نادى كبيرهم على أحد خدمه وأتباعه وطلب منه سكينا، فأتى له الخادم بسكين يبرق من شدة حدته، حينها جرح كبيرهم إبهامه ودهن به وجه الصندوق وراح يلقي بتعويذة غريبة بجمل سريانية قديمة اندهش لها كبير المنجمين برقان؛ لأنه هو نفسه لا يعرف رموز تلك اللغة القديمة، وما إن كاد يُنهي كبيرهم تعويذته حتى انكمش وجه الصندوق واضمحل تماما وهنا ظهرت قطعة جلد قديمة ملفوفة بين الحرير والقطن، أخرجها كبيرهم بين يديه وقال:

قبل أن أقرأ محتواها يجب أن تعلموا أن من كتب هاته الكلمات هو سيدنا سليمان عليه السلام و هومن ختمها بختمه داخل الصندوق

وأعطاه لي وها قد حان اليوم الذي أكشف فيه هاته النبوءة، حمل كبيرهم الورقة الجلدية وراح يقرأ عليهم ما كُتب فيها:

سيُولد شيء من جنية.

وسيموت آلاف الجِنّة ما بين الصيحة والصيحة .

وستمرّ إحدى عشر سنة بعد دقيقة وسيكتشف الحقيقة.

قادما من الأراضي المظلمة المخفية.

ليملك خاتمي وكتابي ويملك عليكم الحرية .

بهت الجميع واتسعت عيونهم وعبست ملامحهم، وقال:

ـ كبيرهم : هذا تفسير ما يحدث في عالم الجن من اضطراب، وإني لمفزوع من هذا الشيء الذي سيولد، ولا نعلم أين سيولد أو سيأتي بخير أو شر.

فقاطعه آصف قائلا وهو مستنفر: سنقتله يا مولاي .

ثم ضرب غابر بيده على الطاولة بقوة وقال: نعم لقد قال آصف صدقا لن نسمح بحدوث هذا، سنذبحه هو ومن حملت به، سنبدأ بالقوم الذين وُضع بينهم.

قاطعهم سلطان قائلا: وهل تظنون أن قتله بهاته السهولة؟ فبمجرد أن اقترب موعد ولادته تبعثر عالمنا ولم نقدر السيطرة على الأمور .

و هنا قال برقان : لقد قلت الصواب يا سلطان، فشيء اختص سيدنا سليمان بذكره ليس سهلا أن تفعل به ما تريده.

وفي هاته الأثناء في العالم الأعلى هناك حيث يوجد جبريل في الظلام يحمل بين يديه شيئا مظلما ويصعد خارجا من أعماق ظلام السعير، فتتأهب الملائكة و تستنفر و تُعطى لإسرافيل الإشارة للنفخ في البوق ، فينفخ نفخة

تـذوب لهـا قلـوب الملائكـة وترتعـد منهـا فرائـص جهنـم وتتقلـب أحشـاؤها

وظُلـم المـكان في الدنيـا بسـواد مسـدف و يعصـف ريـح عظيـم ويتوقـف كل شيء فكأنمـا نابـض الزمـن تجمـد ويُفتـح بـاب السـماوات الأعظـم وينـزل جبريـل بلمـح البـصر إلى واد الشـياطين فيقـذف مـا يحملـه في بطنهـا ويعـود أدراجـه إلى مكانـه هنـاك عنـد سـدرة المنتهـى، فيعـود الزمـن وتنخفـض شـدة الريـح، وتشـخص عينـا كبـير الجـن وصـار يغـلي كأنـه وسـط قـدر مـن نـار وصـار يقـول:

لقـد أتى، لقـد أتى، وأشـاح بوجهـه ينظـر إلى الخاتـم والكتـاب ويقـول: خـيرا أم شرا أحمـوا الخاتـم والكتـاب، ثـم سـقط ميتـا وتحـول إلى رمـاد كـما حـال أبنـاء سـوميا جميعـا.

قامـوا كلهـم يجـرون وقـد سـبقتهم يـد المـوت إليـه، وعـمّ خـبر موتـه جميـع عـوالم الجـن وأخرجـوه في جنـازة عظيمـة مهولـة قطعـوا بـه السـبعة أبحـر ورمـوا رمـاده هنـاك في بحـر الملـوك أيـن مقـبرة عظـماء الجـن.

الولادة (الأم) :

بعدما تمت مراسيم الجنازة عاد واجتمع الأعضاء داخل الحجرة السرية يتشاورون في أمر ما يحصل ويفكرون في كلام كبيرهم وفي ما هو مكتوب على تلك الورقة، لكنهم لم يعلموا بعد ما هو هذا الشيء ومتى سيظهر ورغم تضارب آرائهم بين من يريد قتله ومن يريد تصفيده وختمه بالأرصاد ومن بقي حائرا لا يدري ما يقول إلا أنهم اتفقوا على حماية الخاتم والكتاب كما أمر كبيرهم حتى ولو على أرواحهم، وأن يُبقوا أمر الحجرة سرية كما كانت عليه دائما وممتنعة بالأرصاد والسحر والتعويذات، واتفقوا أن يبقوا على اتصال دائم ويجتمعوا عندما يظهر هذا الشرّ المستطير، ثم خرجوا إلى وجه الأرض وختموا المكان وطار كل واحد منهم إلى مملكته واجتمع بكبار منجميها وقادتها وأربابها ليتحاوروا ويبحثوا عن حل، لكنهم أبقوا أمر النبوءة سريا حتى يظهر هذا الشيء.

في هاته الأثناء تجلس هناك في ركن سحيق من واد مظلم يعج بالوحوش، لا ترى إلا وميض الخوف يلمع من عيونها، تمتطيها الجِن وتركب فوق رؤوسها، هناك في واد الشياطين تختفي لوحدها تلك الشيطانة تحت مطر السواد، تنجذب إلى اللاوجود حيث تخلو بنفسها تتأمل حالها، وتتفحص هندسة تكوينها الشيطانيَ المهيب، تتفحص أصابعها وهيكلها المتجانس وملامحها المُذابة على بعضها، إنها تشعر بتفجر الطاقة في روحها، و تبلع شبابها الذي تتغذى عليه يوما بعد يوم تمتص منه مصل البقاء، و تنصت إلى صغارها وهم نائمون بجانبها يتقلبون على بساط الحنين،

وتسترجع لحظاتها معهم و هم مستيقظون ويلعبون، حينها يتدفق هرمون السعادة في كيانها فتتفجر فيها العاطفة، وتضطرب فيها الغريزة وتلمع في أحداقها الدموع، إن حنانها يعصر قلبها على أولادها، فتحمل نفسا عميقا تُحمله بثقل الأيام و تُطلقه يتفجر في الهواء، وبعيدا هناك عن زجل الجن تستسلم لهدوء الليل وعقلها مشغول بذلك الشيء حيث ترتمي في فراش التساؤلات، لا تفهم ما هو، وبحركة عفوية منها تقبل راحة يدها وتبسطها على بطنها كأنها تمرر مصل الحب له، فيشعر ذلك الشيء بحرارة غريزتها فتنبعث فيه الروح ليتحرك في أحشائها، فتشهق و تشعر بضمة شديدة تعصرها ويخفق قلبها خفقة قوية ويكاد يتوقف من شدتها، حين ذاك تعانق ذلك الشيء الذي ينام في أحشائها وتضمّه بعاطفتها التي يتغذى عليها ويكبر في مهدها وتنام محدّقة في الأحلام.

هدأ عالم الجن بعد تلك الليلة قليلا ومع مرور الأيام كان بطنها ينتفخ بسرعة وكان كل من يمر عليها يدعو لها ولجنينها ويسألها ماذا ستسميه؟ كانت تبتسم فرحة وتقول:

لم أختر له اسما بعد، سأسميه لما أضعه وأختار له الاسم الذي يليق به.

وفي ليلة من الليالي أحست بشيء من الأرق ولم تستطع النوم فتناولت إحدى الكتب القديمة وبدأت تتصفح صفحاته المهترئة، كان الكتاب يتحدث عن قدماء الجن وبطولاتهم وكيف صار الجن من أبناء سوميا مردة وعفاريت وجنًّا بأجناس مختلفة وشياطين وملوك، ويُفصّل الكتاب بين الأنساب المشرفة وشجرة عائلاتهم، وكانت أشرف عائلة هي عائلة شراهيا ابن سوميا وكان أبرّ الأبناء بأبيه ولما حضرت سوميا الوفاة وضع

بركتـه في شراهيـا وطوّقـه بختمـه، لم يحكـم أبنـاء شراهيـا الجـن ولم يكونـوا توّاقـين لذلـك، لكـن كل أبنـاء سـوميا كانـوا يكنـون الاحـترام و الهيبـة لهاتـه العائلـة لمـا لهـا مـن تفضيـل وبركـة مـن أبيهـم الأول، وكان لهاتـه العائلـة ورثـة يتكلمـون باسـمها وتنتقـل الوراثـة مـن الشـخص المتـوفى إلى أبنائـه تمامـا كـما الملـوك وانتقلـت الوراثـة في هاتـه العائلـة مـن و إلى حتـى اسـتقرت عنـد مرجانـة ابنـة الحكيـم براخيـا ، وكانـت مرجانـة شـيطانة طيبـة القلـب شـديدة الـذكاء واسـعة المعرفـة بأمـور الجـن وتصاريفهـا، وبينـما مرجانـة تتصفـح الكتـاب حتـى غلـب عليهـا النعـاس فنامـت وضـوء الشـموع يداعـب وجههـا، فشـدّها النـوم مـن يدهـا وطـار بهـا إلى قلعـة غريبـة وبينـما هـي تتجـول داخلهـا إذ تـرى نفسـها أمـام بـاب وتسـمع وراءه صراخـا وهرجـا عظيـما ، فتنظـر مـن ثقـب البـاب فـترى نفسـها مقيـدة بالسلاسـل ورجـال دائـرون بهـا وهـي تبـكي و تترجاهـم ثـم يجـيء أحـد يحمـل رُمحـا ويُؤمـر بطعنهـا ويُشـير لـه الآمـر سـدّد نحـو الجنـين، فيطعنهـا عـلى بطنهـا طعنـة قويـة، فتُفيـق وهـي تـصرخ وتتعـرق، كانـت تنهـت مرعوبـة مـما رأت، قامـت تجـري تتفقـد صغارهـا وتسـتطلع المـكان فوجـدت كل شيء عـلى مـا يُـرام، هنـا هـدأت قليـلا وجلسـت تفكـر فيـما رأت، أحسّـت أن شـيئا مـا يحـدث وأن جنينهـا في خطـر، لم تنـم تلـك الليلـة مـن الفـزع والتفكـير حتـى لاح الضيـاء فغفـت مـن شـدة التعـب ونامـت.

اسـتقظت مرجانـة وقـت الضحـى وظلـت تجـوب في الردهات، تسـير مشـغولة البـال مشوشـة الأفـكار، ثـم عـادت لمكتبتهـا تفتـش عـن شيء مـا، كان مخطوطا مـن أبيهـم شراهيـا يـشرح فيـه كيفيـة الاتصـال بالعـالم الآخـر لمـن تـسري فيـه

دماء شراهيا المباركة فقط، حدقت في المخطوطة جيدا وكأنها قد نسختها في دماغها وانتظرت حتى تَضَيّفت الشمس وغاب حسن النهار تحت سطوة الليل العاتم، وبعد أن نام صغارها تحت وطأة النعاس التحفت عباءة وغطت رأسها وكانت ليلة مُسدفة ماطرة، فدخل الجن مساكنهم باكرا مما سهل على مرجانة الخروج من واد الشياطين تحت جنح الظلام دون أن يراها أحد، لم تكن تريد أن يعلم بها أي شخص، ركبت بهيمة عظيمة من بهائم الجن انطلقت بها بلمح البصر إلى جبل قاف ذلك الجبل الذي مساحته مسيرة ألف عام.

نزلت مرجانة عن بهيمتها حدود الجبل وكان الجو هناك صافيا، راحت تُحدّق في مواقع النجوم وتستذكر المخطوطة وتسقطها على ما ترى حتى اهتدت إلى جانب من الجبل عبارة عن صخور عمودية مصفحة تضرب في عمق الأرض و تناطح السماء في العلاء، اقتربت وألقت تعويذة ما فإذا بباب يتزحزح وفتح الجبل فمه وابتلع مرجانة ثم أغلقه، دخلت مرجانة جوف الجبل وعبر ممر قصير وصلت إلى حجرة، كانت تنقسم أرضية تلك الحجرة من نصف حجر ونصف بركة حمم بركانية ومُغلقة تماما، ليس فيها إلا ذاك المنفذ الذي يأتي به الممر، هنا أخرجت مرجانة من تحتها شمعات ثم أشعلتها ووضعتها في زوايا الحجرة وأخرجت سكينا وكشفت عن ذراعها وبدأت تتمتم بتعويذات غريبة وتقترب إلى النصف المنصهر وكلما اقتربت منه تضطرب أمواج تلك البركة كما البحر في تقلبه وتفيض الحمم حتى وقفت عند الحافة وأخذت السكين وأحدثت في ذراعها جرحا ومدتها كي تسيل الدماء داخل البركة ثم ألقت السكين

جوف البركة وهي تقرأ التعويذة، وما أن انتهت حتى سقطت من شدة الجهد وهدأت الحمم أخذت تنقسم لبركتين وفي الوسط بينهما بانت طريق يبس على شكل أدراج تنتهي بباب من الحديد الأسود منقوش عليه طلاسم؛ نزلت مرجانة الأدراج وفتحت الباب ومرّت إلى الجانب الآخر، كان الجانب الآخر شيئا مخيفا ومهيب التكوين، فقد كان كهفا متسع الأرجاء لا تُرى نهايته. تحسب وكأن جبل قاف مجوف من داخل، لم تكن تدري مرجانة أين هي، كانت تسير بين الحمم وهي تتفجر و تآكل وتُذيب حواف الصخور، أكملت مرجانة سيرها حتى وصلت بابا ضخما من الحديد بجانبه مخلوق غريب لا يشبه أشد صور الجن غرابة، كان أسود البشرة ليس له عينان ولا أطراف، مُرعب الخِلقة، مُفزع الشكل، وما إن وصلت إليه حتى سمعت له صوتا كالرعد جعلها تجمد في مكانها من شدة الهلع والرعب، لم تفهم ما قاله، لكن رأت الباب يفتح على مصراعيه وهو مازال بجانبه، شدّت من رباطة جأشها ومرّت عبر الباب مُسرعة، كان ذلك الباب يفصل ما بين ذلك الفضاء الشاسع وبين فضاء آخر مُنحصر الأطراف داخل حجرة جميلة جدرانها من البلور وسقفها من الألماس والزبرجد وأروع الجواهر وأرضها من صخور فسيفسائية مشعّة تتخلل تلك الصخور قنوات كسواقي يجري فيها الماء يتلون بلون الصخور، يحسب الناظر تلك الصخور الجميلة جزرا يحيط بها الماء من كل جانب، وكانت تلك الحجرة باردة قليلا، وبينما مرجانة واقفة تتفرج على حسن ما ترى إذ بشخص يناديها من هناك، كان شيخا يتربع فوق دائرة من الزجاج يُحيط بها الماء ويجري تحتها، كانت تبدو عليه أثار

الكبر لحيته طويلة وشعره لكتفيه وقد أطاح جيش البياض فيه بكل فرسان السواد وبين يديه صولجان من الذهب، تقدمت نحوه مرجانة وألقت عليه التحية، فقال:

ـ مرحبا مرجانة منذ وفاة براخيا لم يزرني أحد من العالم الآخر، تفضلي اقتربي أكثر، أخبريني ما حملك على المجيء؟.

ـ مرجانة: مرحبا سيدي، أنت تعلم أني ابنة براخيا ووريثته، إن هناك أشياءً لم أفهمها ولا أجد من أ أتمنه عليها غيرك، فعالم الجن يمر باضطراب مخيف ولا أحد يعرف ما السبب، و إني لأخاف إن كان قد لحق بي أحدهم إلى هنا.

ـ الشيخ : لا تخافي يا مرجانة فلن يلحق بك أحد ولا أحد غيرك يستطيع المرور إلى هنا. أ تعلمين أين أنت الآن؟

ـ مرجانة: ليس بالضبط يا سيدي .

ـ الشيخ : اعلمي يا مرجانة أنك منذ أن عبرتِ الباب فقد انتقلتِ من عالمكِ إلى العالم الأعلى، واعلمي أني ملك من ملائكة الله، واعلمي أن لجهنم سبعة أبواب عظام ولكل باب منهم حارس و لكل حارس زبانية تحت أمره وكل الحراس تحت إمرة ملك عظيم يُدعى مالك خازن النار ، وأنا أحد حراس تلك الأبواب وأنتِ الآن بين عالمك والعالم الآخر، كمن يعيش البرزخ يبقى معلقا بين الأولى والآخرة وأنت لا يفصلك عن الآخرة إلا هذا الباب هناك، فنظرت فرأت بابا عظيما لا يكاد ينتهي فكادت تُصعق لما رأت ، ثم قال : و إن خلف هذا الباب نارا تُدعى سقر، نارٌ ذات لهيب أسود ولو فُتح مقدار ثقب إبرة من بابها هذا لالتهم كل الدنيا قبل أن يرتد إليك طرفك، وأنا الآن أحرسه إلى يوم القيامة، و الآن

يـا مرجانـة قـولي لي مـاذا ستُسـمين هـذا الجنـين؟

ـ مرجانة: و ما أدراك بالجنين؟

ـ الشـيخ: أنـا ملـك يـا مرجانـة وإني لأراه يتقلب في أحشـائك، المسـكين سـيعيش مُتعبـا في آخـر عمره.

ـ مرجانـة: لمـاذا يـا سـيدي؟ لقـد أتيـت إليـك مـن أجلـه، ثـم قصّـت عليـه مـا رأتـه في منامهـا.

ـ الشـيخ: فلتعلمـي يـا مرجانـة أنـه ليـس بجـن، وستسـعى الجِنّـة إلى قتلـه، وسيشـهد أهـوا ومهالـك.

ـ مرجانة: ماذا تعني أنه ليس بجن؟ ولِمَ ستسعى الجِنّة إلى قتله؟

ـ الشـيخ: اعلمـي أن هنـاك نبـوءة تقـول أنـه سـيظهر في يـوم مـا مـن يـرث ملـك سـليمان إن وصـل إلى الخاتـم والكتـاب ولـن يكـون هـذا مـن الجـن واعلمـي بـأن كـبراء الجِنّـة قـد علمـوا بمجيئـه وهـم ينتظـرون موعـد خروجـه للدنيـا فيقتلـوه .

ـ قاطعتـه مرجانـة بشراسـة الشـياطين قائلـة: لـن يمـسّ أحـد شـعرة مـن رأسـه، إنـه ولـدي ومـن نسـل شراهيـا وسـأحرق كل مـن يقربـه.

ـ الشـيخ : سـتُتهمين بالخيانـة العظمـى يـا مرجانـة، فالجـنّ سـيفعلون كل مـا يملكـون ليحمـوا أنفسـهم وعالمهـم، و وقوفـك ضدهـم هـو خيانـة لهـم وطعنـا لبنـي جنسـك.

ـ مرجانـة: كيـف يحكمـون عـلى ولـد لم يولـد بعـد؟ سـأختم عليـه وأُلقـي عليـه التعاويـذ فتخفيـه عنهـم وتخفـي قوتـه، لـن أدعهـم يشـعرون بـه .

ـ الشـيخ : لن تصمد كل التعاويذ أمامه سـتتلاشى مع كل يوم يشـتد فيه عوده.

هنا انفعلت مرجانة وهمّت بالمغادرة وقد بانت أنياب الشيطانة والشيخ يقول لها وهي تبتعد: لا تنسي أنك وريثة شراهيا ويجب أن تتحملي مسؤوليتك اتجاه بني جنسك .

خرجت مرجانة إلى وجه الأرض ورجعت إلى واد الشياطين دون أن يراها أحد وهي تحمل همها داخلها، وبقيت تنتظر موعد طلقها وهي كل يوم تزداد تعلقا بالجنين وتفكّر في أمره وكيف سيكون حاله، بدأت تستعد لذلك اليوم، فكانت تبحث في مكتبة أبيها و تقرأ عن كل التعاويذ والأختام وكُتب السحر القديمة والحديثة وتجمع كل شيء تراه مهما و ُفيدها، وعندما حان موعد وضعها مضت إلى قصر الملك شراهيا الذي صار مهجورا وبقي إرثا لعائلته، كان المكان الوحيد الذي تشعر فيه بالأمان، دخلت عبر إحدى الممرات إلى غرفة سرية كانت قد حصّنتها بالأرصاد جيدا، لكي تكون مخفية تماما عندما تضع مولودها ويكون لها وقت حتى تختمه وتضعف كل ما يتفجر منه من قوى غريبة كي لا تشعر به الجن وتحميه من مكائدهم، دخلت وأغلقت الباب ومع بداية ألم المخاض تلبدت السماء، وانفعلت الأعاصير، وهاجت أمواج البحار تتلاطم وتضرب سواحل اليابسة، أُعلنت حالة استنفار بين ممالك الجن وأُطلقت صيحات الخطر، ومرجانة تقترب من وضع مولودها وهي تصرخ من الألم وتحسّ كأن روحها ستخرج معه، و في وحشة قاتلة، وظلام مطبق، وسكون رهيب خُلق وبدأت حياته ولم يكن قبلها إلا شيئا يقرب إلى العدم، كانت تدفعه بصعوبة حتى خرج من رحمها أخيرا وصاح صيحته الأولى في هذا

الوجـود وفقـدت هـي الوعـي، فـما إن صـاح حتـى بـدأت الصواعـق تـضرب وأرواح تُزهـق، ومـا إن صـاح الصيحـة الثانيـة حتـى انفجـرت النـار في الجبـال والوديـان والصحـاري وصـارت تشـب في كل شيء، ومـع الصيحـة الثالثـة ارتجت الأرض رجـة عظيمـة أفاقـت لهـا مرجانـة، فالتقطـت وليدهـا مـن تحتهـا وقبل أن تفعـل أي شيء سـارعت لإلقـاء التعاويـذ عليـه وختمـه بالأختـام والأرصـاد، وكانـت قـد هيّـأت كل شيء سـابقا، ومـا إن أكملـت عملهـا بلمـح البـصر عـاد كل شيء طبيعيـا، وأمـا مـا كان مـن أمـر الجـن الآخـري ، فـإن سـلطان وآصـف وغابـر وميمـون كانـوا يجابهـون كل حسـب موقعـه، وأمـا برقـان كان قـد جمـع السـحرة والمنجمـين منـذ مـدة وجعلـوا ينتظـرون هـذا اليـوم كي يبحثـوا بسـحرهم ومكائدهـم عـن المولـود أيـن سـيكون ليعلمـوا مكانـه، لكـن فوجئـوا بفشـل كل محاولاتهـم في اقتفـاء أثـره رغـم اسـتعانتهم بـكل الأسـاليب والطـرق ، حتـى فوجئـوا بهـدوء الأحـوال واختفائـه نهـائي .

وأمـا مـا كان مـن أمـر المولـود فـإن مرجانـة لمـا ألقـت عليـه تعويذاتهـا وأرصادهـا ضمتـه إلى صدرهـا وقطعـت حبلـه الـسُري ولفتـه بخرقـة مـن الحريـر وأرضعتـه حتـى نـام ونامـت هـي أيضـا مـن شـدة التعـب والألم.

الأخت (شاهيناز):

عندما تتعب تبحث عن ملاذ تستريح فيه، تُطلق العنان لفكرك المشوش تصطاد منه الذبذبات السالبة وتلقيها في حاوية الأيام، في لحظة ما تجتاحك تدفقات من العواطف التي تجوع لها نفسيتك وترى في دفئها غذاءً لها، تفتش في أعماقك الباردة عن شكولا من الحب ، أو حلوة من الحنين ، أو سكرا من العشق، أو ربما حتى عن دبدوب من الاهتمام، لكنك لن تجد ، تيأس و تتمنى بشدة لو أن هناك من يستطيع الوصول إلى أعماقك الباردة وينثر فيها وردا من العواطف، و ُشعل فيها نارا تبث دفئا من الاحتواء، فتحتوي ذاتك المجمدة، وتتغذى على نورها نفسيتك، تتمنى أن يهبك شخص ما تحتاجه وتتناول من كفيه ذلك المُسكّن الذي يحضن قلبك ويُنظم خفقانه وحضنا تضع رأسك عليه، فيكون هو ملاذك الذي تعود إليه دون الحاجة إلى البحث وسط الفراغ المظلم. و كانت في واد الشياطين جنية من أميرات الجن العظيمات، كانت شابة بارعة الجمال لها وقفة كالرمح المنتصب، مليحة الوجه وسيمة الملامح، حورية غراء بيضاء فكأنما خلقها الله من اللؤلؤ البراق، وكأنها أخت القمر تضيء كما المصباح، متناسقة القد حمراء الخدّ، طاغية الأنوثة والغنج، عظيمة الهيبة والرفعة والعنفوان، عيناها واسعتان وتبرقان كأنهما جوهرتان تسبحان في بياض يلمع كالزئبق، يحسبها الناظر كوكبا يضيء من شدة الحسن وبهاء الطلعة، فكان الجن إذا ما رأوها قالوا إن الشمس قد طلعت في المكاني الفلاني، فحسنها شيء عجيب، بديعة الجمال

كثيرة الدّلال، خاطفة الأنظار، سارقة عقول الفرسان والأبطال، وتلبس

دائما لباس الأميرات فكانت مشدودة الإزار وفي عنقها عقد من الجوهر النادر وفي يدها مما تعمل الجن أساور، تربق في معصمها كالنجوم وخلاخل من الذهب الخالص، فكانت أجمل بنات زمانها، وكانت نساء الجن يسمين بناتهن على اسمها تيمنا بها، وكانوا يحبونها لطيبة قلبها ودلعها ودلالها وحسن أخلاقها ورّقة كلماتها، إذا ما تكلمت تُذيب القلب وتشفي العطب وتُرسي في أعماق ناظرها سفن السكينة والطرب .

كانت شاهيناز هاته الأميرة الشابة تلعب مع أبناء مرجانة، وفجأة تغير وجه السماء وثارت الريح في الأرجاء، وتغير الحال من السكينة إلى المحال، وكحال الجن جميعا سكن الهلع قلبها ولم تفهم ما يحدث، خبّأت الأولاد وراحت تبحث عن مرجانة لأنها تعلم بأمر حملها وتخشى عليها من أن يصيبها مكروه، بحثت عنها دون جدوى، حين ذاك رجعت إلى مكان الأولاد وخبأتهم تحت ردائها، وبقيت هكذا حتى هدأت الأحوال.

الوقت يمر ومرجانة لم تظهر بعد فزاد قلق شاهيناز عليها، وتوترت أشد التوتّر لأنه ليس من عادة مرجانة أن تترك أبناءها وفوق ذلك اختفاؤها في هذا الوقت العصيب، فانتظرت حتى تضيفت الشمس وابتلع الظلام فوتونات الضياء، عندها قررت أن تخرج للبحث عنها، التحفت عباءة وهمّت بالخروج لكنها التقت بمرجانة عند الباب، وبخطوات ثقيلة متعبة جاءت بابنها تحمله، صُعقت شاهيناز من المنظر وهرعت إليها تساعدها وقالت:

ـ شاهيناز: هل وضعت حملك يا مرجانة؟؟

ـ مرجانة: نعم يا شاهيناز.

ـ شاهيناز : أين كنتِ؟ لقد خفت كثيرا من أن يحدث لك مكروه.

ـ مرجانة : لا تخافي يا شاهيناز لم يحدث أي شيء.

ـ شاهينا : لماذا غادرتِ القصر وأنتِ تعلمين أنك على موعد الوضع؟

ـ مرجانة: لم يكن على علمي بل فاجأني الأمر .

ـ شاهيناز: من كانت معك؟

ـ مرجانة: كنت وحدي.

ـ شاهيناز متفاجئة: وحدك، وحدك؟؟؟؟

ـ مرجانة: نعم يا حبيبتي وحدي، لكن مرّ كلّ شيء على خير.

ـ شاهيناز وهي ممسكة بها جيدا: آه لقد خفت عليك كثيرا، هيا معي إلى غرفتك، إن وجهك شاحب ومُتعب.

سايرت شاهيناز مرجانة برفق إلى أن أقعدتها على السرير وأعدّت لها مُتكأ، ثم سألت مرجانة عن أبنائها وكانوا قد ناموا، طمأنتها شاهيناز على حالهم وراحت لتجلب لها شيئا تأكله، بعد مدة عادت تحمل صينية من المأكولات وجلست إلى جانب مرجانة وقالت:

ـ شاهيناز: ولد أم بنت؟

ـ مرجانة: ولد.

ـ شاهيناز: ما اسمه؟

ـ مرجانة: ما زلت لم أسمه بعد.

ـ شاهيناز: هل لي أن أراه؟

ـ مرجانة: طبعا يا جميلتي، وناولت الوليد إلى حضن شاهيناز.

حملته شاهيناز وما إن كشفت عنه حتى لاح الضياء من وجهه يتلألأ كقرص الشمس الملتهب، ففتنت شاهيناز بإشراق وجهه وحمرة خدّه وترقرق عينيه كلؤلؤتين براقتين، اتسعت عيناها وراحت تتأمل محاسن وجهه وبديع خلقته وتقول ياه ما هذا جِن إن هو إلا ملك وبدأت تضحك وتقول لمرجانة: انظري إلى إشراقه إنه أجمل مني أنا أجمل بنات الجن، فضحك المولود كأنه يفهمها، وهنا زادت ضحكة شاهيناز وراحت تُقبل شفاهه وتمصّ خدوده من فرط الغيرة حتى التهبتا كأنهما الجمر، و صارت شفاهه كالمرجان وهو يضحك، فاشتعلت نار الغيرة والتعلق في قلبها للمولود وقالت: يا مرجانة إن هذا ولدي فإما أن تعطيني إياه أو أقاسمك فيه .

ـ فضحكت مرجانة وقالت: لن أجد من تحبه وتعطف عليه مثلك، هو لك.

قالت شاهيناز: وماذا ستسمينه؟

ـ مرجانة: إني أحببت أن أُسميه نور.

ـ شاهيناز: اسم على مسمى ثم نظرت إليه فلما رأت حُمرة خديه قالت: أما أنا فأسميه هدهد وضمّته إليها برفق فأحسّ بالدفء فنام، ثم قالت: المسكين مُتعب ما كان هذا ليولد في يوم كهذا وكأن الدنيا لا تُرحب به .

وهنا توقفت مرجانة عن الأكل وراح فكرها إلى ما لا تعلم، حتى تدخلت شاهيناز وقالت: مرجانة ما بك؟

أفاقت مرجانة من شرودها وقالت: لا شيء.

ـ ردت شاهيناز : آسفة يا مرجانة لم أقصد.

ـ مرجانة وهي مُطرقة رأسها: لا عليك يا جميلتي.

ـ وضعت شاهيناز المولود جانبا وقالت: ما بك؟ لمَ أطرقت رأسك؟ منذ

أن رأيتك وأنت شاحبة وكأنك غير فرحة بالمولود؟

هنا انفجرت مرجانة بالبكاء ولم تتمالك نفسها وكادت تنهار لولا أن أمسكتها شاهيناز وضمتها إليها تُهدئها وتسألها عن سبب بكائها.

ـ قالت مرجانة: لا شيء يا ابنتي .

ـ شاهيناز: لا لن أُصدقك، أنت تخفين عني أشياءً ولن أبرح مكاني حتى أعلم ما يُبكيك.

ـ مرجانة: إني أخاف على نور.

ـ شاهيناز: مما تخافين عليه، أ مِني يا مرجانة؟

ـ مرجانة: لا لا أبدا ليس منك.

ـ شاهيناز : ومما إذا؟

ـ مرجانة : الأمر معقد يا شاهيناز .

ـ شاهيناز : اسمعيني يا مرجانة ليس هناك مشكلة ليس لها حل، واعلمي أن الله قد قذف في قلبي تعلقا بنور، ولست ممن تخون الأمانة، ثم قامت وأغلقت الباب ورجعت وجلست محدقة في مرجانة.

ـ تنهّدت مرجانة وقالت: اعلمي يا شاهيناز أنك أقرب بنات الجن إلى قلبي وإني أراك ابنتي وأختي ومُستودع أسراري، فعديني يا جميلتي أن تستري عليّ وعلى أخيك وأن تبقي الأمر سرّا بيننا، وأن تمدّي له العون في حياته؛ لأنه سيحتاجك يومها وليس لدي من أأتمنه عليه وعلى أولادي غيرك .

ـ بدت علامات الدهشة على وجه شاهيناز وقالت: ماذا تقولين يا مرجانة؟ تتكلمين وكأنك راحلة، أو كأن نور سيدخل حربا.

ـ مرجانة: عديني أولا يا شاهيناز.

ـ شاهيناز: بالطبع أعدك ولن يحدث شيء له ولا لإخوته وأنا على عهدي

مـا اسـتطعت .

ـ مرجانـة: لقـد جـبرتِ بخاطـري يـا شـاهيناز، لقـد أبـردتِ جمـرة تقـدح في داخـلي وهنـا انهمـرت الدمـوع مـن عينيهـا وقالـت: اعلمـي يـا شـاهيناز أن نـور ليـس مـن نسـل الجـن وأني نمـت في إحـدى الليـالي بـشيء أرعبـي فاتصلت بعـالم الملائكـة لأني وريثـة شراهيـا وعلمـت مـن هنـاك أن نبـوءة تتفـق مـع نـور وميـلاده ، وستسـعى الجـن إلى قتلـه وإني قـد ختمتـه بأرصـاد وطلاسـم مـن السـحر القديـم والحديـث ولكـن لـن تقـدر تلـك الأرصـاد أن تُخفيـه مـدى الحيـاة فلـه قـوة ومقـدرة عجيبـة غريبـة، وتقـول النبـوءة إنـه سيسـيطر عـلى عـالم الجـن ولـذا قـرّروا أن يقتلـوه، ومـا حـدث مـن كل ذلـك الاضطـراب بسـببه ولمـا جـاءني المخـاض اختفيـت بـه حتـى ولدتـه وختمتـه وهـذا كل أمـري قـد وضعتـه بـين يديـك فارحمينـي وارحمـي ولـدي مـن بعـدي؛ لأني سـأهلك بتهمـة الخيانـة.

ـ أطرقـت شـاهيناز رأسـها ثـم التفتـت إلى نور ذلـك الرضيع تتفحصـه ولم تلبث حتـى أمطـرت عيناهـا الجميلتـان بالدمـوع ورقّ قلبهـا لحـال نور وأمّـه وقالت: المسـكين مـا ذنبـه أن تكرهـه كل الدنيـا وتسـعى كل القـوى إلى قتلـه، أي تعـب سـيلاقيه المسـكين في حياتـه وقـد بـدأت هكـذا بـكل هاتـه الفـوضى والمشـاكل.

ـ شـدّت مرجانـة شـاهيناز مـن يديهـا وقالـت: شـاهيناز يـا حبيبتـي إني آخيـت بينـك وبـين نـور وأوصيـك بـه خـيرا وإني أطوّقكـما ببركـة شراهيـا، فاتخذيـه أخـا واعطفـي عليـه ولا تخـبري أحـدا.

ـ شـاهيناز: طبعـا يـا مرجانـة ووالله إني قـد ازددت تعلقـا بـه وشـغفا بقربـه وزادت محبتـه في قلبـي، اسـمعي نامـي الآن، واسـتقوي عـلى التعـب والإرهـاق بالراحـة ولـن يكـون إلا خـيرا إن شـاء اللـه ثـم قامـت وكشـفت الغطـاء عـن

نـور وقبّلتـه وانصرفـت.

الاجتماع

ـ بعـد أن هـدأت الأوضـاع وعـلى جنـاح السرعـة عـاد واجتمـع الجماعـة وأتى برقـان مـع كبيريـن مـن كبـار المنجمـين والسـحرة، جلـس الجماعـة في أماكنهـم وهـم في حـيرة مـن أمرهـم مذهولـين مـما حـدث.

ـ و هنـا قـال غابـر: هـل حـدث معكـم مـا حـدث في بلادنـا؟ لقـد كان الأمـر مهـولا وكدنـا أن نختفـي مـن الوجـود بلمـح البـصر، ولـن تسـتطيع أي قـوة عـلى وجـه الأرض أن تفعـل ذلـك. هـذا مسـتحيل.

ـ آصـف: نعـم يـا غابـر لقـد كنـا مكتـوفي الأيـدي تمامـا، يـا إلهـي مـا هاتـه اللعنـة التـي حلّـت بنـا؟

ـ قـال ميمـون: ومـا تفسـير تهيـج الدنيـا ثـم هدوئهـا لدقائـق فقـط؟ ونظـر إلى برقـان وهـو يقـول: هـل لديـك تفسـير يـا سـيدي؟

ـ برقـان: الأمـر أكـثر إبهامـا يـا ميمـون ولقـد جلبـت معي وزيـريّ وأعلـم من في مجموعـة السـحرة، أعلـم أنكـم لـن تصدقـوا الأمـر لكـن لم نجـد لـه أثـرا البتـة، لقـد فعلنـا المسـتحيل لكـن لا وجـود لـه، فشـلت كل محاولاتنـا في اقتفـاء أثـره، ولم نعلـم بعـد إن كان هـو مـن أخفـى نفسـه أم أن هنـاك مـن أخفـاه، وهـذا خطـير جـدا، إذا كان هنـاك مـن أخفـاه فهـذا يعنـي أنـه يعلـم بأمـر النبـوءة التـي أخفيناهـا عـن العامـة، ويعلـم نوايانـا ضـده فحـماه، والأخطـر مـن ذلـك إن كان هنـاك أي شـخص قـام بذلـك فهـو قـد خـان بنـي جنسـه ويُكـنُّ لهـم الـش، وإن لم نُـسرع سـتعظم المشـكلة، فربمـا يعلّمـه أصـول السـحر ويُدرّبـه عـلى المُلـك وعندهـا لـن نكـون قادريـن عـلى حمايـة أنفسـنا وعالمنـا ونصبـح

عبيدا في القريب.

اشتعل الفرسان غضبا وضرب سلطان الطاولة بيديه وبدأ ينفر نفرا قويا ويقول:

ـ لن ينجو مني أحد، سأسحقه هو ومن أخفاه ومن حملت به، سأحرقهم وأتمتع بصريخهم، و اهتاج وتغيظ وقام يضرب بأرجله الأرض ويلعن.

اضطرب المجلس واحتاروا في أمرهم، ثم قال برقان:

ـ يجب أن نتمسك أولا بوصية مولانا أن نحمي الخاتم والكتاب، ثم نُشكل خلايا سرية للبحث عنه، يجب أن نلتقطه دون شعوره أو شعور من يُخفيه كي لا نعقد المسألة.

ـ ثم قال سلطان: وأين نُخفي الخاتم والكتاب؟

ـ برقان: أنا أرى أن نبقيها هنا حيث خبأهم مولانا دائما، ولقد ابتكرنا تعويذة جديدة وقوية لتدعم الأرصاد التي تُخفي الحجرة ولقد جلبت معي وزيريّ ليساعداني في إلقائها.

ثم أجمعوا على ذلك كلهم واتفقوا أن يبقوا على اتصال وأن يُكلّف كل أحد خلايا في مملكته ويغرسهم داخل أوساط الجن ويبحثوا عنه، ولن يتحركوا إذا وجدوه حتى يلتقوا ويتشاوروا على أمر واحد، ثم ختموا الحجرة وطار كل واحد منهم إلى حال سبيله، وفي صبيحة الغد استفاقت مرجانة على أصوات أبنائها يلعبون، استوت على السرير وقد ارتاحت قليلا من تعب البارحة، وهنا دخلت شاهيناز تحمل الفطور فوجدت مرجانة مستوية على السرير تلاعب ولديها وتقبلهما، فقالت شاهيناز بلطف:

ـ علاء.. عرمد.. إن والدتكما مُتعبة ومريضة دعاها ترتاح قليلا، وكان

علاء يبلغ أربع سنوات، و عرمد سنتان، وكانا ولدين لطيفين مثل أمهما، فحضنتهما مرجانة وقبلتهما وقالت:

ـ إنّ هذان المشاغبان هما راحتي، وهنا أعلن نور عن تدخله في الحوار وراح يبكي، فضحكت أمه وقالت: وأنت أيضا وما إن همت إليه حتى سبقتها شاهيناز وحملته وقالت وهي تضحك:

ـ لا يا مرجانة لقد كان اتفاقنا أنه قد صار لي، وراحت تلاعبه حتى ضحك، ثم جلست به على السرير ودار به أخواه يحدقان فيه وهي تلاعبه وتقول: انظرا إلى هدهدي الجميل.

تمر الأيام و نور يكبر في كنف العاطفة والحنان وكل يوم يزداد تعلق إخوته به، حتى صاروا كأنهم نفس واحدة، وكان بينهم رابط عجيب، كل هذا وأمّهم شغوفة بهم، غير أن تعلّقه بشاهيناز كان جميلا أكثر، فكان يلعب ويرتع وعند النوم لا ينام إلا عندها، وتحت أنغام صوتها العذب، وكانت كل ليلة تمرر له حكايات ينام في حدائقها، كان هذا الأمر رائعا بالنسبة لمرجانة، وكان يبعث في نفسها الراحة والطمأنينة فتحسّ أن نور وهو بين إخوته وشاهيناز دائما سيكون في أيدي آمنة، ويوما بعد يوم بدأ نور يكبر هناك في واد الشياطين، وكان لمّا يخرج مع شاهيناز يتعجّب الجن من حسنهما الذي لم يروا مثله في مدائن الجن، ولما بلغ نور ثلاث سنوات من عمره كان قد تعلّم الكلام فاجتهدت مرجانة وشاهيناز في تربيته وتعليمه دون اللجوء إلى معلم لأنهما كانتا تخافان من أي خطر قد يحدث. فكان نور شديد الفهم، قوي الذاكرة سريع التعلم، ورغم صغر سنه كان فصيح اللسان سريع البديهة، وظهرت عليه علامات النبوغ

مُبكّرا، لكن مع مرور الأيام أيضا بدأت تلك الأختام والأرصاد التي ألقتها عليه أمه تضعف شيئا فشيئا دون أن يشعر أحد، ورغم أن أمّه لم تعلمه السحر ولا طرقه إلا أن قدرته كانت أكبر من حرصها عليه، فلما بلغ العشر سنوات خرج مع أخويه إلى شعاب واد الشياطين العظيم دون أن تعلم مرجانة وشاهيناز بذلك، و بينما هم يتجوّلون في تلك الشعاب المقفرة إذ هم يصلون إلى طريق حجري مسدود فقرروا الاستراحة عنده، وما أن جلسوا حتى تزحزح انفتح باب حجري أمامهم ، لم يتساءلوا كثيرا حتى دخل علاء أولا وتبعه أخواه فوجدوا غرفة مملوءة بالكنوز القديمة فبدؤوا يلعبون بها هم لا يدرون كيف فُتح الباب الذي لم يكن موجودا من قبل، أحسّ الأولاد أنهم تأخروا فهموا راجعين إلى القصر وتركوا أمر الغرفة وراءهم، و ما أن غادر الأولاد حتى ظهر أحد صعاليك الجن، كان يُراقب ما يحدث معهم، فدخل الغرفة وراح يتعجب كيف لأولاد صغار أن يصلوا إلى هاته المرتبة المتقدمة من السحر حتى يقدروا على تعطيل هاته الأختام التي تُخفي الغرفة والتي لم يقدر عليها أحد من قبل، و يقول في نفسه: طول عمري وأنا أعيش مشرّدا هنا ما رأيتها أو علمت بأمرها، ولكنهم لم يقوموا بأي تعويذة أو شيء يوحي بذلك، لقد انكشفت بمجرد جلوسهم عندها، إن هذا غريب. وأما الأولاد لما عادوا إلى القصر، راح نور عند شاهيناز وأعطاها قطعة من الذهب وقال:

ـ لقد جلبتها لك يا شاهيناز .

ـ حملتها شاهيناز وراحت تقلبها بين أ صابعها ثم قالت مستغربة : وأين وجدتها يا هدهد؟

ـ نور: وجدتها في غرفة في إحدى شعاب واد الشياطين.

ـ شاهيناز: ماذا قلت؟؟؟ من أخذك إلى هناك؟

ـ نـور: ولِمَ أنـت غاضبـة؟ لقـد رحـت مـع عـلاء وعرمـد وحـكى لها كل مـا جرى.

ـ شـاهيناز بلطافـة ورفـق: اسـمعني يـا هدهـد إن الشـعاب هنـاك خطـرة ومملـوءة باللصـوص، وإن قلبـي يرتجـف مـن الخـوف عليـك، عـدني ألا تذهب مـع أحـد إلا معـي أو مرجانـة.

ـ نور: حسنا أعدك، وعانقها وقال: كنت أود أن آتيك بكل تلك الجواهر.

ـ شـاهيناز: لا بـأس يـا هدهـد فأنـا لا أُريـد إلا سـلامتك، لكـن قـلي هـل رآكـم أحـد مـا؟

ـ نور: لا أظن، فأنا لم أر أحدا هناك.

ـ شاهيناز : حسنا، لا تخبر أحدا بما جرى.

ـ نور : سمعا وطاعة.

ثُـم إنّ شـاهيناز أخفـت قلقهـا عـن نـور وعـن الجميـع وأسرعـت بالبحـث عـن مرجانـة، ومـا أن التقتهـا حتـى أمسـكتها مـن يديهـا وأخـذت بهـا إلى خلـوة وقالـت لهـا:

ـ لقد بدأ الأمر يخرج عن أيدينا يا مرجانة.

ـ مرجانة: اهدئي يا شاهيناز ما بك؟

ـ شاهيناز: انظري ماذا أعطاني نور .

ـ مرجانة: قطعة ذهبية قديمة، من أين حصل عليها؟؟

ـ شـاهيناز: إن الأمـر خطـير يـا مرجانـة لقـد ذهـب مـع عـلاء و عرمـد إلى شـعاب واد الشـياطين وحكـت لهـا مـا حـدث، ثـم قالـت: وهـم لا يـدرون كيـف فُتحـت.

ـ مرجانـة: مـاذا؟؟؟ ، ثـم اضطربـت وبـدأت تلـوب في أرجـاء الغرفـة وتهـذي،

فأمسكتها شاهيناز وقالت:

ـ تمالكي نفسك، لقد قال لي: أنه لم يرهم أحد وهو لم يتفطّن أنه بسببه انفتحت الحجرة، ولم يعلم بأمر قدرته التي تتعطل عندها كل أعمال الجن من سحر، يجب أن نفعل شيئا وننتبه أكثر إن نور يكبر ومع مرور الأيام ستتفسخ كل أختامك التي ألقيتها عليه، لكن يجب أولا أن تخبري أخويه بخطورة اصطحابه معهم .

بدأت مرجانة ترتجف وتمسك رأسها وشاهيناز تتصنع التماسك وتهدئها، ثم نادت مرجانة علاء وعرمد واجتمعت بهم وقالت:

ـ تعالا اجلسا بجانبي، فجلس علاء عن اليمين وعرمد عن شمالها، فضمتهما إليها وأكملت تقول: هل ذهبتم اليوم إلى شعاب الوادي؟

ـ علاء: نعم يا أمي.

ـ مرجانة: لِمَ يا ولدي؟

ـ علاء: لنلعب فقط.

ـ مرجانة: ولكن اللعب هناك خطير.

ـ علاء: ليس بتلك الخطورة يا أمي لا تنسي بأننا أحفاد شراهيا.

ـ مرجانة: أعلم يا ولدي لكن ما زلتهم صغارا، ثم إنك أكبرهم يا علاء وستكون مسؤولا عليهم إن حدث لإخوتك مكروه فهما ما يزالان صغيران ولم يصيرا مثلك بعد، فأرجوك يا روحي لا تذهب بإخوتك إلى هناك مرة أخرى.

ـ علاء: حسنا يا أمي لن آخذهم إلى هناك، لكن لا تخافي أيضا فلن يُصيبهم مكروه فأنا سأحميهم.

ـ ضحكت مرجانة وقالت: وأنت يا عرمد أتعدني؟

ـ عرمد: بالطبع يا أمّي لن أعصيك فعلاء ونور إخوتي أيضا وسأحميهم.

وهنا فاضت عاطفة مرجانة وغمرت ولديها في حضنها بكل دفء.

المؤامرة:

مرت ستة أشهر عن الحادثة وفي إحدى الليالي التي تعج بالنشاط و الحياة، وفي إحدى أسواق واد الشياطين كانت هناك حانة يتجمع فيها أثرياء الجنّ من محبي المجون والسهر، وهناك كان جنيان يتسامران ويشربان أفخم أنواع النبيذ وعليهما آثار الثراء الفاحش، مضى الليل وانتفخت عيون الجنيين من أثر السُّكر ولعب الخمر بعقلهما، و هما يتحدثان حتى قال أحدهما:

ـ إن الفقر كفر يا صاحبي، أتذكر حالنا قبل أشهر؟

ـ فقال الثاني ولسانه معقود: نعم يا صاحبي كنا في حالة يُرثى لها، لكن أتانا حظنا أخيرا.

ـ الأول: بل أتانا الصبية وانفجرا يضحكان.

ـ ثم قال الثاني: نعم صدقت لولاهم لكنا مازلنا نزحف على بطوننا في تلك الشعاب المقفرة.

ـ قال الأول: إنا مازلنا نزحف يا صاحبي.

ـ الثاني: لكن ليس من يزحف من الشبع كمن يزحف من الجوع، وانفجرا بالضحك.

ـ الأول: للأسف انغلقت الحجرة ولكني حظيت بالكثير من الجواهر ولن يمسني الفقر حتى أموت.

ـ الثاني: مازال الأمر يُحيرني، كيف استطاع صبية أن يكشفوا عن مثل تلك الغرفة؟ في أي مدرسة للسحر درسوا؟

ـ الأول: الغريب أنهم لم يقوموا بأي شيء فما إن جلسوا حتى بان الباب

و انفتح، لم يقوموا بأي سحر.

ـ الثاني: صبية أغبياء ليتهم يعودون ليفتحوها لنا ثانية وانفجرا بالضحك.

يجلس في هدوء يُخفي أنفاسه، ويُخفض دقات قلبه ويبتعد، هو هنا ولكن لا يُرى، يتفحص حركة الزمان وتقلب الأحوال، يدقق في تفاصيل الأشياء، يتغلغل في أعماقها المُظلمة، كل من يراه يرى فيه ثقبا أسودا يشع بالسواد، تلتهمه الأسئلة والاستفهامات العميقة، وكان يجلس وحيدا في زاوية ضيقة من زوايا الحانة، يتفحّص حركة الجميع بهدوء تام، وأمامه كأس نبيذ أحمر، وبجانب الكأس كُتيب صغير يُدوّن عليه ملاحظاته، كان شخصا شبه مخفي عن هذا العالم، شديد الهدوء وحاد البصر ودقيق الملاحظة، ورغم أن الحانة كانت تعج بالجن والعفاريت تلك الليلة، إلا أنّه استطاع أن يلحظ بدقة كل شخص هناك.

مرت تلك الليلة الصاخبة، ودخل الساهرون مساكنهم، ومرّت ليلة ثانية وثالثة، و مع صباح الليلة الرابعة خرج الصعلوك الذي شاهد الأولاد وجلس في إحدى الأزقة ينتظر صاحبه حتى أتاه وذهبا إلى إحدى المقاهي وجلسا يتحدثان.

قال أحدهم: إن الجو جميل يا صامد.

ـ صامد: نعم يا سيزر .

ـ سيزر: هل لديك ما تفعله اليوم؟

ـ صامد: لا شيء، إن هاته الأيام الجميلة لا تصلح إلا للسفر والترحال.

ـ سيزر: إيـــهٍ، بالفعل لقد قلتها يا صامد دعنا نمضي إلى شعاب الوادي نتذكر الأيام الخوالي.

ـ قال صامد ضاحكا: لازلت تحن إلى سيزر الصعلوك، هيا نذهب لكن لا

نتذكر تلك الأيام، ثم انفجرا بالضحك.

قام الجنيان من مكانهما ومضيا إلى تلك الشعاب وهما يترنحان ويتضاحكان على طريقة الصعاليك، فلم تُغير تلك الجواهر من معدنهما شيئا، لما وصل الصعلوكان إلى تلك الشعاب قال سيزر:

ـ هووووي صامد، أين وجد الأولاد تلك الغرفة؟ خذنا إلى مكانها علها تحدث معنا معجزة أخرى.

ـ صامد: إنها من خلف تلك الأحجار الكبيرة.

وبينما هما يسيران عبر ممرات ملتوية حتى هجم عليهم عفاريت أشداء واختطفوهما وغاصوا بهما في جوف الأرض.

في غرفة متوسطة الحجم كان يقف سلطان وآصف أمام مائدة ضخمة فوقها تضاريس وهياكل ترسم خريطة واد الشياطين العظيم، كأنها مائدة حربية تبرز بدقة ملامح وتفاصيل الوادي من جميع حدوده، وكانت على الجدران رفوف كثيرة عليها كُتب وخرائط ومعلق عليها بعض الآلات الحربية كالسيوف والدروع وغيرها مما يستعمل الجن في القتال.

ـ قال آصف: انظر هنا يا سلطان وأشار بيده، هنا في هذا الحي الفقير ولدت في إحدى المنازل التي لا تصلح للعيش، لم أكن مثلك من عائلة نبيلة يا سلطان، ولقد تعبت بعد موت والدي وأثخنني الشقاء ولكن لم أفشل وها أنا اليوم في المكان الذي أردته دائما ونلت مرتبة عالية بين عظماء الجن ولن يشقى أبنائي من بعدي.

ـ سلطان: صحيح أنك لست من عائلة نبيلة يا آصف ولكن نُبلك وقوتك هما من أوصلاك إلى هنا واعلم أني ليس لي إخوة وإني لأعتبرك

أنـت أخـي الوحيـد ولا أقـدر عـلى فراقـك يـا آصـف.

ـ آصف: شكرا لك يا سلطان.

ـ سـلطان : لا عليـك يـا آصـف في الأخـير إنهـا وصيـة مولانـا لـو تذكـر، ثـم أكمـل قائـلا: انظـر هنـا أتعـرف هـذا المـكان؟

ـ آصف: أتقصد قصر الملوك؟

ـ سلطان: نعم، هل زرته من قبل؟

ـ آصـف: لا أبـد ، فهـو مشـيد بعيـدا عـن المدينـة وكـما تعلـم لا يُسـمح بدخـول العامـة إليـه.

ـ سـلطان: نعـم يـا آصـف كـما قلـت تمامـا، إنـه صرح عظيـم جـدا ولا يعيـش فيـه إلا الملـوك والنبـلاء مـن العائـلات المختلفـة، وحظيـت فيـه أنـا بالتعليـم والتربيـة الخاصـة لأني كـما تعلـم وريـث العائلـة.

ـ آصف: سمعت أن عائلة شراهيا تعيش هناك أيضا.

ـ سـلطان: نعـم يـا آصـف إن أقـوى وأنبـل عائـلات الجـن تسـكن هنـاك في قـصر الملـوك، ولكـن بينهـم وبـين العائـلات الأخـرى حجـاب، والآن وريثتهـم مرجانـة؛ وبينـما هـما يتحدثـان إذ دخـل عليهـم دامـغ تتطايـر مـن عينيـه نظـرات القسـوة والهـدوء، ألقـى التحيـة عليهـما وقـال:

ـ المفتاح معي.

ـ قال سلطان: هل أحضرته؟؟

ـ دامغ: نعم يا سيدي .

ـ سلطان: وأين هو؟

ـ دامغ: خلف الباب يا سيدي، هل أُدخله؟

ـ سلطان: بالفعل يا دامغ أتمزح؟ ائت به على عجل أسرع.

ـ صاح دامغ : ائتوا به ، هنا دخل جنود وألقوا بصامد بين أيدي سلطان وآصف وانصرفوا وبقي دامغ معهم داخل الغرفة.

ـ قال سلطان: هل هذا هو الذي أخبرتنا عنه؟

ـ دامغ: نعم يا سيدي، هو من كان في الحانة مع صاحبه وقد أتيت بهما معا لكن صاحبه لا يعلم شيئا فتركته في الحجز؛ لأني لم أرد أن تتكلم في الأمر أمامه للسرية والأمان.

ـ آصف: أحسنت يا دامغ إنك لعلى قدر عظيم من المسؤولية.

ـ سلطان: ما اسمك يا هذا؟

ـ صامد: اسمي صامد يا سيدي.

ـ سلطان: أ تعرفني؟

ـ صامد: لا يا سيدي، أقسم أني لم أفعل شيئا ولا أعلم حتى اختطفني جماعة من العفاريت ووجدت نفسي هنا، أرجوك يا سيدي أنا لم أفعل شيئا.

ـ سلطان: لا تخف فأنا سلطان وهذا آصف، نحن حارسا أبواب السماء وممالك الجن، وهذا الذي أتى بك اسمه دامغ وهو مُكلف بمهمة منذ عشر سنوات وأتمنى أنه قد أتمها أخيرا .

ـ صامد: أ أنت سلطان يا مولاي؟ ، ما يريد مني مولاي فأنا تحت إشارته، سأعطيك كل ما أملك ما عندي من جواهر.

ـ ضحك سلطان وقال: جواهر؟؟ لا تكن أحمقا ومن أين أتى صعلوك مثلك بالجواهر؟ لا تخف لن أقتلك، لكن قل لي الحقيقة وكل شيء.

ـ صامد: لن أكذب عليك يا مولاي أعدك، وحكى له كل ما وقع وجرى

وكيف كان وكيف صار.

ـ نظر سلطان إلى آصف وقال: ما ترى فيما قال؟

ـ آصف: إن الأمر مريب فعلا ولكن لا يجب أن نتسرع، يجب أن نتأكد منهم ومن أمرهم، ثم نظر إلى صامد وقال: هل تعرف الأولاد؟

ـ صامد: لا يا سيدي لكني أظنهم من النبلاء، لأنهم لم يغتروا بمنظر الجواهر والذهب وكانوا يلبسون لباسا من الحرير، وكان أصغرهم أجمل ولد رأيته في حياتي كأنه من أبناء الملوك ويستحيل أن يكون ابن صعلوك مثلي.

ـ سلطان: هل أنت متأكد مما تقول؟

ـ صامد: أُقسم لك يا سيدي أني لم أكذب في شيء، وأني لم أرى أولئك الأولاد من قبل، ولم أرهم من بعد.

ـ آصف: اسمع يا صامد، نحن لا نريد مالك ولا أذيتك ولكن نريد الأولاد في أقرب وقت.

ـ سلطان: اسمع سنتركك تذهب وسيلازمك دامغ أو أحد جنوده، وستبحثان عن الأولاد، فإذا التقيتم بهم نبهه وأفصح عنهم ومن هناك تنتهي مهمتك ونخلي سبيلك.

ـ صامد: سمعا وطاعة يا مولاي أنا تحت تصرفكم.

ـ سلطان: دامغ تولى المسألة فنحن نعتمد عليك ونعلّق كل آمالنا على عاتقك.

ـ دامغ: أمرك مطاع يا سيدي، سأتولى الأمر بنفسي وأعمل عليه.

ـ سلطان: إياك أن يسمع أحد بما جرى ويجري يا صامد إنّ أي كلمة لا تُلقي لها بالا تهوي برأسك ورأس صاحبك فاحذرا؛ يمكنكما أن تنصرفا يا

دامـغ وابـق عـلى اتصـال معنـا.

ـ دامغ: أمرك سـيدي، وهنا أخذ دامغ صامد وخرج به و صاحبه إلى وجه الأرض ومضـوا إلى حـال سـبيلهم، وبقـي سـلطان وآصـف يتحـاوران في القضيـة بعمق.

ـ قال آصف: ما قولك يا سلطان هل تظننا وصلنا إليه؟

ـ سلطان: إني قلق يا آصف ولكن أتمنى أن يكون هو.

ـ آصف: كلنا قلقون، نتمنى أن تمرّ الأحداث بسلاسة.

ـ سـلطان : لا يمكـن أن نبنـي أي احتـمال حتـى نتأكـد منـه ونعلـم أنّنـا وضعنـا أيدينـا بالفعـل عليـه لا غـيره.

في إحـدى الأيـام كانـت الأمـيرة شـاهيناز تُحـس بالضجـر فخرجـت إلى حدائـق القـصر تداعـب قطـرات النـدى وتُراقـص الفراشـات وترتمـي بـين أحضـان النسـيم، فجـأة خطـر عـلى بالهـا نـور، فقالـت لإحـدى الخادمـات أن تناديـه، ومـا هـي إلا لحظـات حتـى أتى نـور يجـري و قفـز وارتمـى عليهـا، فالتقطتـه بـين يديهـا وراحـت تـدور بـه في مـرح، ثـم توقفـت عـن الـدوران وقالـت لـه:

ـ هل أكملت واجبك الذي أعطيته لك؟

ـ نور: نعم يا شاهيناز أكملت كل واجباتي.

ـ شاهيناز: أحسنت يا هدهد، سأكافئك.

ـ نور وهو فرحان: آه، فعلا؟

ـ شاهيناز: آه، نعم .

ـ نور: وما المكافأة؟

ـ شاهيناز: كم مضى عليك ولم تغادر القصر؟

ـ نـور: منـذ مـدة طويلـة جـدا، لقـد قلـت لي ألّا أغـادره إلا معـك أو مـع أمـي،

ثـم أطـرق برأسـه حزينـا.

ـ شاهيناز: ارفع رأسك يا هدهد سنذهب في رحلة خارج القصر اليوم.

ـ فرح نور وتلألأ وجهه وقال: آه، فعلا؟؟

ـ فلـما رأت شـاهيناز تـلألأ عينيـه وحُمـرة وجهـه مـن شـدة الفـرح ، تحركـت الغـيرة في أحشـائها وراحـت تشـد بخديـه وتلعـب برأسـه وتقـول : أي نعـم يـا هدهـدي وترددهـا وهـو يضحـك؛ عدّلـت شـاهيناز هندامهـا وزينـت نفسـها حتـى صـارت تفيـض جـمالا ورقـة وتـترك في قلـب مـن يراهـا حُرقـة وشـدّت بيـد نـور وخرجـت بـه إلى أسـواق المدينـة، فصـار الجـن يتعجبـون مـن حسـنهما، و ظلّـت شـاهيناز تطـوف بأخيهـا وتقتنـي لـه كل مـا يعلـق في قلبـه مـن ألعـاب وحلـوى حتـى قـرب المسـاء و قـررا العـودة، و بينـما هـما عائـدان إلى القـصر وفي زقـاق ضيـق مكتـظ بالجـن إذ صامـد يصيـح عـلى دامـغ ويقـول:

ـ هناك، هناك يا سيدي ذاك الولد الذي أخبرتكم عنه.

ـ دامغ: أتقصد ذاك الذي يُمسك بيد الأميرة؟

ـ صامد: نعم، نعم هو بذاته لا يمكن أن أنسى ذلك الوجه الجميل .

ـ قـال دامـغ وهو يشـد عـلى معصم صامد بقوة: هل أنت متأكـد؟ إياك والخطأ.

ـ صامد: أقسم لك يا سيدي إنه هو.

ـ دامغ : يا إلاهي ما هاته الكارثة ؟

ـ صامد: أي كارثة يا سيدي؟ لم أفهم؟

ـ دامغ: لا عليك لست معك، و لكن أرجوك تأكد منه.

ـ صامـد: أقسـم لـك أنه هو وكان مع اثنـين يكبرانه ويسـتحيل أن أكذب عليكم.

ـ دامغ: حسنا، حسنا، لا بأس سأمضي إلى حال سبيلي، ولكن إياك أن يعلم أحد بالأمر، ستخسر نفسك واعلم أنك بأعيننا.

ـ صامد: لن أعصيك يا سيدي كن على ثقة، ثم ترك دامغ المكان وانحاز لمكان مظلم واختفى.

عادت شاهيناز ونور إلى القصر مع المساء وقد نال منهما التعب والإرهاق، واجتمع نور بأمه وبدأ يسرد عليها ما رآه في المدينة ويُريها ما اشترته له شاهيناز، ثم اضطجع في حجرها وغطّ في نوم عميق، في هاته الأثناء اجتمع دامغ مع سلطان وآصف ووضع بين يديهما التقرير المفصل وأخبرهم بما رأى.

ـ قال سلطان: أ تعي ما تقول؟؟؟ هل أنت متأكد؟؟؟

ـ دامغ: لقد شدّدت على صامد وأغلظ لي الأيمان بأنه أحد الأولاد الذين رآهم في تلك الشعاب.

ـ اضطرب سلطان و بدأ يرتجف من التوتر ويقول: ما هاته الكارثة الكبرى، إن كان مُرادنا واحدا من أؤلئك الأولاد.

ـ قال آصف: اثبت يا سلطان ما بك، وإن؟

ـ سلطان: يا آصف أنت لا تفهم إن الأمر معقّد.

ـ آصف : لما قد يكون معقدا إلى هاته الدرجة؟

ـ سلطان : إن الولد الذي يتكلم عنه هو أصغر أبناء مرجانة وريثة عائلة شراهيا.

ـ قال آصف مدهوشا: أُوه ماذا؟؟ هل أنت متأكد؟

ـ سلطان: نعم يا آصف، وأنت لا تعرف مرجانة، إن كان الأمر صحيحا

فالأزمـة عميقـة جـدا.

ـ آصف: نعم صعب لكن لكل مشكلة حل.

ـ سـلطان : هـل تحسـب أن مرجانـة سـتُقدم لـك ابنـا مـن أبنائهـا عـلى طبـق مـن ذهـب؟ إنـك مُخطـئ ، فأنـت لا تعـرف مرجانـة؛ اسـمع اسـمع يجـب أن نتأكـد مـن الأمـر أولا ثـم لـكل مقـام مقـال.

ـ آصف: وماذا تقترح؟

ـ سـلطان : سـنعمل عـلى أن نُلقـي تعويـذات عـلى الأولاد فـإن كان مـن بينهـم الـذي نريـده فسـتتعطل التعويـذات ولـن تعمـل عليـه.

ـ آصـف : ربمـا إلقـاء التعويـذات ستسـبب الريـب والشـك خصوصـا بـين أبنـاء كـبراء الجـن وداخـل قـصر الملـوك، اسـمع يـا سـلطان اتصـل ببرقـان واطلـب منـه أن يصنـع لنـا صندوقـا خشـبيا كالـذي خبّـأ فيـه سـيدنا سـليمان تلـك النبـوءة ونعمـل عـلى أن نقربّـه ونضعـه بـين يـدي الأولاد عندهـا سنكتشـف حقيقـة الأمـر.

ـ سـلطان: بالفعـل يـا آصـف فكـرة جيـدة، ثـم قـال لدامـغ : أرسـل لبرقـان وأبلغـه واطلـب منـه مـا سـمعته مـن آصـف الآن.

ـ دامغ: في الحال يا سيدي.

ـ سـلطان: عجـل بالأمـر يـا دامغ نحن ننتظر، ثـم توارى دامغ بـين لفيف الظلام.

ـ فقال آصف: هل تعرف أبناء مرجانة يا سلطان؟

ـ سلطان: ليس جيدا فأنا لم أزر القصر منذ سنوات.

ـ آصف: ومن يمكن أن يكون مرجحا منهم؟

ـ سـلطان: لا أعـرف، ولكـن سـأعود إلى القـصر وأبحـث في الأمـر، وسـأرى مـن يتوافـق عمـره و الأمـارات التـي حدثـت لعـالم الجـن منـذ عـشر سـنوات،

ولـديّ فكـرة جيـدة للكشـف عـن الأمـر.

بعـد أيـام عـاد سـلطان إلى قـصر الملـوك عـلى شـكل زيـارة، لم يُبـد نيّتـه الحقيقيـة لأي أحـد، ابتهـج القـصر ومـن فيـه تلـك الليلـة وفـرح الجميـع بزيـارة سـلطان، وباركهـا كبراؤهـم وأمـروا أن يُقيمـوا حفـلا في الليلـة القادمـة ليُشـعروا سـلطان بمكانتـه بينهـم ويكـسروا طـول غيبتـه؛ و في صبـاح اليـوم التـالي كانـت مرجانـة في حديقـة القـصر ومعهـا نـور .

قال نور: من ذلك الفارس يا أمي؟

مرجانـة: إنـه حـارس أبـواب السـماء وممالـك الجـن، ولا يصـل مرتبتـه إلا شـخص يُدعـى آصـف.

ـ نور: إذا هو قوي؟

ـ مرجانـة: نعـم يـا نـور فـلا يصـل تلـك المرتبـة إلا مـن كان ذا قـوة وعلـم وعـلى قـدر كبـير مـن المسـؤولية.

ـ نور: سأبلغها يا أمي عندما أكبر، بل سأصير أقوى وأحمي عالم الجن.

ـ و قبـل أن تـرد مرجانـة إذ يقاطعهـا صـوت قـال: بالطبـع يـا نـور يجـب أن تعمـل عـلى ذلـك لـكي أعطيـك مـكاني، فأنـا صرت شـيخا هرمـا.

نظرت مرجانة وراءها فرأت سلطان عند رؤوسهم فقالت:

ـ مرحبا يا سلطان .

ـ سلطان: مرحبا يا مرجانة كيف حالك؟

ـ مرجانة: بخير يا سلطان وأنت؟

ـ سلطان: بخير، لم أرك البارحة فأردت أن أُعرّج عليك اليوم.

ـ مرجانة: شكرا لك يا سلطان حتى أنا كنت أود رُؤيتك، عودة مباركة.

ـ سلطان: شكرا لك، وأنت يا نور ألا تسلم عليّ؟

ـ نور: مرحبا يا عم، عودة ميمونة.

ـ سلطان: شكرا أيها القوي، تعال إليّ، وهنا تقدم نور إلى سلطان فحمله ووضعه على كتفيه وراح يُلاعبه ويقول: يجب أن تصير قويا حتى تحكم مكاني ولكن ستبتعد عن أمك لمدة طويلة.

ـ نور: نعم يا عم سلطان، سأصير أقوى مما تظن وسأنال شرف حماية ممالك الجن.

ـ ضحك سلطان وقال: أحسنت ففي الأخير أنت ابن مرجانة وحفيد شراهيا ، إياك أن تنسى هذا، أو ما قولك يا مرجانة؟

ـ مرجانة طبعا يا سلطان سيصير نور ذا شأن عظيم يوما ما.

ـ وضع سلطان نور، وجثا على ركبتيه وقال له: كم عمرك؟

ـ نور : عشرة سنوات ونصف.

ـ سلطان : جميل، مازالت الطريق أمامك طويلة، لكني متأكد أنك ستصل، قل لي يا نور هناك حفلة الليلة وستوزع فيها الهدايا ستأتي طبعا.

ـ نظر نور إلى أمه فقالت: طبعا سنحضر.

ـ سلطان: فتى مهذب، أتشرف بحضوركم أما الآن سأدعكم فلدي مشاغل.

ـ مرجانة: لا بأس يا سلطان، شكرا لك وسنكون في الموعد.

ـ سلطان: العفو، وداعا يا نور.

ـ نور: وداعا يا عم.

أخذت مرجانة نور إلى الداخل ونادت إخوته وهيأتهم للحفلة ، وما إن اقترب الموعد شدّت بأيديهم وذهبت بهم، كانت حفلة جميلة وباهرة ابتهج بها

القصر تلك الليلة، وما إن مضى شيء من الوقت حتى قام سلطان وقال:
ـ أنا أشكركم اليوم على هذا الاحتفال الرائع ، وإني شديد السعادة الليلة أني بينكم وأني منكم، وما ابتعادي عنكم إلا شرفا في خدمتكم وخدمة بني جنسي، وما زاد سعادتي هو وجوه الأطفال الحالمة الليلة التي أرى فيها نفسي في يوم ما، لأنهم ببساطة هم من سيستلمون المشعل من بعدنا عندما نذهب، وبهاته المناسبة أردت أن أقدم هدايا للأطفال، وهنا قام أقزام من الجن يطيرون فوق رؤوس الأطفال ويوزعون عليهم الهدايا واستلم كل طفل هديته، ثم قال سلطان : أتمنى أن تكون قد أعجبتكم الهدايا، لكن مازالت هناك هدية و جائزة كبرى وحمل الصندوق الخشبي الذي كان قد صنعه له برقان وأعطاه التعويذة لفتحه وكيفية تعطيلها نهائيا بعد فتحه، وأكمل يقو : هذا الصندوق هو الهدية وفيه كتاب قد كتبته بنفسي عن ما شاهدته خلف أبواب السماء وفي حياتي من عجائب وسنجري قرعة ومن يختاره القدر ليحصل عليه فإنه سيصبح على مقربة من أن يكون خليفتي، هيا يا أولاد من يريد الهدية فليكتب اسمه على القصاصة التي وُزعت لكم مع الهدايا وليستلمها الأقزام.

هنا هرع الأطفال ليكتبوا أسماءهم، ونظر نور إلى أمه وقال : أريد الهدية يا أمي، وكان بجواره أخواه وقالا نفس كلامه، فضحكت وقالت : اكتبوا أسماءكم إذا، فكتبوا أسماءهم وسلّموا القصاصات إلى الأقزام، جمع الأقزام كل القصاصات في صحن كبير كان أمام سلطان، وبعدما فرغ الأقزام من جمع الأسماء قام سلطان وقال:

ـ قبل أن أختار واحدة من القصاصات يجب أن أقول لكم أيها الصغار :

أنتم تظنون أن حراسة أبواب السماء وممالك الجن شيء جميل وطريف لكنه ليس كذلك أبدا، ليس جميلا لكنّه عظيم، قد تظنون أنه شرف سامٍ ومهابة وسلطة، لكنه مسؤولية ثقيلة جدا قبل كل شيء، سيرى من يبلغ تلك المرتبة أشياءً عجيبة وسيرى الغرائب من الأحوال لكن ذلك ليس بالأمر الفاتن، إنه أشد خطرا منه إلى الجمال والفتنة، وصيتي لكم جميعا، كل واحد يُعتبر حاميا لعالمنا من مكانه ويجب على كل واحد منكم أن يشعر بتلك المسؤولية العميقة في ذاته، ولا يعلو أحد على أحد أبدا، فقط يتفاوت بعضنا على بعض في خدمة الآخرين وذلك ما يُحدد مكانته؛ صفق الحاضرون على كلام سلطان الذي كان وقعه جميلا في صدور الحاضرين، وبعد ذلك أدخل سلطان يده بين قصاصات الورق ، لكنه كان يهيئ نفسه ليختار نور، فقد كان يُخبئ قصاصة فيها اسم نور في معصمه ويُغطيها بثوبه الطويل ولما غاصت يده بين القصاصات واختفت جذب تلك التي كانت يُخبئها وقبض عليها بين أصابعه وأخرجها واضحة للجميع دون أن يشعر أحد، كان الجميع ينتظر بلهفة شديدة من يا ترى صاحب الحظ الذي سينال الهدية، حتى الكبار كانوا يتمنون لو أنهم شاركوا، فمن لا يتمنى أن يقرأ كتابا كتبه سلطان بنفسه ووثّق فيه ما رآه وعاشه، فبالطبع هو كتاب من أعظم كتب الجن، وفوق كل هذا سلطان ليس بالشخص العادي، رفع سلطان القصاصة وقال: أين نور ابن مرجانة؟ ، دُهش الجميع ونظروا باتجاه نور و هنا اتسعت عينا نور ولمع منهما بريق فتان وتسمّر في مكانه وكأنه في حالة شبه فقد وعي ولم يُصدق ما سمع وإذ بهديته الأولى تسقط من يديه

فاحتضنته أمه من خلفه من شدة الفرح ودار به إخوته فرحين، وهنا انفجر سلطان بالضحك وقال: تقدم يا نور إلى هنا، فانفلت نور من بين أحضان أمه كالسهم وراح يجري نحو سلطان تحت تصفيق الحاضرين، وما إن وصل إليه حتى جثا سلطان على ركبتيه وحضن نور وقال له: يبدو أن السماء اختارتك لتخلفني يا نور كما قلت لي في الصباح، ثم قال له : تقدم وقبّل أيدي الملوك، تقدم إليهم نور كأنه طاووس ملكي وقبّل أيدي الملوك والكبراء بأدب شديد، وما إن استدار حتى رأى سلطان حاملا ذلك الصندوق الخشبي وهو مغلق ثم جثا على ركبتيه واستدبر الحضور ووقف نور مقابلا لهم وبدأ سلطان يتمتم بتعويذة ليوهم من يراه أنها تعويذة لفتح الصندوق لكنه في الحقيقة كان يتهيأ ليعطّل التعويذة نهائيا بعد فتح الصندوق، وبينما هو يتمتم وضع الصندوق بين يدي نور، فإذا بالصندوق يُفتح وتعطلت التعويذة التي تغلقه، اندهش سلطان دهشا عظيما وكاد يرتبك لكنه تدارك الأمر ومرّر أصابعه على وجه الصندوق ليوهم الجميع أنه هو من فتحه، لكنه مرّر أصابعه بعد أن فُتح بسبب نور ثم قام بتعطيل التعويذة نهائيا كي لا يُكشف الأمر، ونور تتسع ابتسامته وتترقرق عيناه بدموع الفرح، ثم قال سلطان لنو : هيا يا نور أخرج هديتك وأرها للحضور، فالتقط نور بيديه الصغيرتين البريئتين الكتاب وحمله للأعلى يُريه للجميع وهم يُصفقون و كل واحد منهم يتمنى لو حصل عليه، قال سلطان وهو ينظر إلى نور و إلى الحضور: لقد اختارتك السماء يا نور أن تحصل على خلاصة تجاربي وحياتي التي قضيتها بين ممالك الجن ووثّقت فيها كل ما جرى معي وكل ما شاهدت

وصارعت، أتمنى أن تحتفظ به يا نور وأن تستفيد منه، ثم همس في أذنه: أمك تنتظر، ضحك نور وقبّل سلطان وهرع يجري إلى أمه و ارتمى في أحضانها، دار به إخوته وبعض من كانوا قريبين منه وفرحوا معه بهديته، ثم أمر سلطان أن تُوزّع المأكولات على شرف نور، واستمرت الحفلة إلى آخر الليل، ثم رجعت مرجانة وأولادها إلى حُجراتهم، وما أن وصلوا حتى سقط الأولاد نائمين من شدة التعب. خبأت مرجانة الهدايا وانزوت في فراشها وغرقت في أفكارها، وبدأت ترى أن نور قد سقط في ورطة وأنها لا تستطيع أن تُخفيه منذ الآن كما في السابق وأن الأمر بدأ يخرج عن سيطرة يديها ، وهاجت أمواج الوسواس في أعماقها ونامت.

في الصباح الباكر استيقظ نور قبلهم جميعا وراح يبحث عن هداياه حتى وجدها، فخطفها وارتفع وطار من الفرح ودار يجري يداعب أروقة القصر حتى دخل على شاهيناز وهي نائمة على جنب وشعرها الحريري منسدل على الوسادة كنهر من الذهب، لم تشعر به حتى تسلل مُتربعا بجسمه الصغير في حضنها، فأفاقت وهي تقول له:

ـ صباح الخير يا هدهد لقد جئت باكرا، أ لم تنم من الحفلة البارحة؟

ـ نور: لقد نمت، لكني استيقظت الآن وجئتك بهداياي التي حصلت عليها البارحة، لن تصدقي يا شاهيناز أني قد فزت بأعظم هدية في الحفل أعطاها لي سلطان نفسه، لقد اختارتني السماء يا شاهيناز، ولمَ لم تحضري الحفل؟

ـ شاهيناز: كنت مشغولة ولا أحب الحفلات كثيرا، هيّا أرني هداياك؛ كشف نور عن هديته الأولى كانت عبارة عن ألعاب وبعض التماثيل الصغيرة

وقبعة جميلة مطرزة بمهارة، ثم أراها الهدية الثانية وهي كتاب سلطان، حملت شاهيناز الكتاب وتصفحت شيئا من أوراقه وصارت تتعجب مما فيه، ولم يلبثا إلا قليلا حتى دخلت عليهما مرجانة مسرعة، وما إن رأتهما حتى هدأت، وصارت شاهيناز تقول:

ـ ما بك يا مرجانة؟

ـ مرجانة: أُف، خفت على نور فقط، لأني صحوت ولم أجده.

ـ نور: أنا هنا يا أمي، جئت بهداياي لشاهيناز.

ـ مرجانة: لا بأس يا حبيبي، المهم ألّا تبتعد.

ـ شاهيناز: تعالي اجلسي يا مرجانة.

ـ جلست مرجانة وقالت : هاه، ماذا، هل أعجبتك الهدايا؟

ـ شاهيناز: نعم، إنها جميلة جدا وهدهد يستحقها، ثم اقتربت من مرجانة كأنها تهمس لها وتقول: ما قصة الكتاب؟ ألا ترين أن الأمر خطير؟ صدقا لقد سكنني الريب، كتاب مثل هذا يعدّ خطيرا على ولد مثل هدهد.

ـ مرجانة : إنّ هذا ما يقلقني، لم أستطع النوم البارحة من شدة التفكير في الأمر، ولكن ما عساني أفعل؟ لم أكن أدري بأمر هدية سلطان المفاجئة، ولم أستطع أن أمنع نور من كتابة اسمه ، وفوق هذا الحظ العاثر هو من أوقعنا في هذا الموقع.

ـ شاهيناز: اهدئي يا مرجانة لن يكون إلا خيرا إن شاء الله.

بعد أيام ودّع سلطان أهل القصر الذين اجتمعوا لوداعه، و قبل أن ينصرف وضع يده على رأس نور وقال:

ـ سنلتقي قريبا أيها القوي.

ـ ضحك نور وقال: متشوق لذلك يا عم سلطان، رافقتك السلامة .

ـ سلطان: مع السلامة، ثم دار وتلاشى في الفضاء، في تلك الأثناء كان آصف في تلك الحجرة ينتظر همسا ما من جهة سلطان، وبعدما غادر سلطان القصر اتجه مُباشرة إلى أين ينتظره آصف واجتمع به و ما إن دخل عليه قال :

ـ وجدناه .

ـ آصف: أوه، هل هو فعلا؟

ـ سلطان: نعم يا آصف نعم، وصاح على دامغ.

ـ دخل دامغ وقال: نعم سيدي.

ـ سلطان: ابعث في الممالك برقية اجتماع الليلة، لقد حددنا الهدف.

ـ دامغ: أمرك سيدي.

ما إن تغلغل الليل في مسامات الفضاءات وحجب النهار عن الأنظار حتى بُعثت الحياة في تلك الحجرة السرية أين يخفون الخاتم والكتاب، كان آصف، وسلطان، وبرقان، أول الواصلين، ثم لحق ميمون وأبوه صخر ووزراء الدول التي تنتمي إلى مملكة الجبال، ثم غابر وأبوه رعد ووزراء الدول التي تنتمي إلى المملكة الزرقاء، وحضر دامغ أيضا وكبار وزراء السحرة، كانت حالة الاستنفار عندهم إلى أعلى درجاتها، أغلقت الحجرة واشتعلت شعل النار في الهواء واحتدم النقاش.

ـ قال سلطان: مرحبا بكم أنتم تعلمون لما جمعتكم بهاته السرعة، لقد و جدت ذلك الشيء إنه و لد مرجانة حفيدة شراهيا واسمه نور وهو

أصغـر أولادهـا.

ـ قـال الملـك صخـر: لـن أسـألك إن كنـت متأكـدا، لكـن أتعلـم مـا تقولـه؟ هـل هـذا يعنـي أن مرجانـة لا تعلـم بأمـر ابنهـا؟

ـ سـلطان: لم أسـألها طبعـا ولم أحـاول أن أعـرف كي لا أُثـير الشـكوك فيهـا، لكـن الـشيء الـذي أنـا متأكـد منـه أن لا أحـد في القـصر يعلـم بأمـره.

ـ رعد: هل كان لك اتصال بالفتى؟

ـ سلطان: نعم، كم من مرة.

ـ رعد: وما لاحظت فيه؟

ـ سـلطان : إن كنـت تتكلـم عـن طبيعـة الفتـى فهـو طيـب ومهـذب جـدا، لقد اجتهـدت مرجانـة في تأديبـه وتربيتـه، ولـه أحـلام جميلـة تتعلـق بحمايـة عـالم الجـن وبلـوغ المراتـب العاليـة، أمـا مـن ناحيـة القـوة، فـلا يظهـر شيء يبعـث بالريـب، لكـن كل الأرصـاد تتعطـل بـين يديـه.

ـ برقان: إنه مختوم يا سلطان لهذا لا يظهر شيء.

ـ رعد: إذا مرجانة تعلم؟ هذا يعني أنها هي من ختمته؟

ـ برقـان: بالطبـع تعلـم، فأي جنية تحمل في أحشـائها تلك القوة و لا تشـعر بها؟

ـ رعد: إذا مرجانة هنا تعدّ خائنة؟

ـ صخر: نعم يا رعد، وأيّ أم كانت ستفعل ذلك.

ـ سلطان: ما تقترحون؟

ـ آصف: نقتل الفتى.

ـ برقان: نعم نقتل .

ـ صخر: أؤيد ما قاله آصف وبرقان.

ـ رعد: وما قولك أنت يا سلطان؟

ـ سلطان: لا أعلم لكن الحقيقة أني لم أر فيه أي خطر أرى أن نبتكر تعويذة أو سحرا ما يسلب منه قِواه، ونتجنب قتله.

ـ برقان : لا سحر يعمل عليه يا سلطان ولا حيلة لنا في السيطرة عليه أبدا.

ـ رعد : لا تكن ساذجا يا سلطان، أنا مع رأي الجميع، نقتله ونستريح .

ـ سلطان: ما رأي الوزراء؟

ـ قالوا جميعا: نأتمر بأمر سادتنا.

ـ سلطان: حسنا اجتمع الجميع على تصفيته، والآن من يُعطينا الخطة لفعل ذلك؟ إنه لا يفارق مرجانة، ومن منكم يستطيع أن يقف في وجه مرجانة؟ إنها أقوى شيطانة على وجه الأرض ودماء شراهيا تسري في أحشائها وكلكم تعرفون عما أتكلم، خصوصا إذا تعلّق الأمر بأحد أولادها، وليكن في علمكم أنها زعيمة قومها؛ صمت الجميع قليلا وهم يفكرون في ما قاله سلطان، ثم قال برقان:

ـ يجب إذا أن نبعدها عنه.

ـ صخر: فكرة جيدة، لكن كيف؟

ـ برقان: ليس علينا إلا أن نخدعها، نستدعيها إلى هنا حيث لا يمكن أن يكون ذلك الشيء معها ثم يخلو لنا وجهه فنبعث من يقتله.

ـ سلطان: حسنا، وما آخر قولكم؟

ـ رعد: لقد تآمرنا على قتله.

ـ آصف: فلنستدعها غدا ولنحاكمها هي أيضا على خيانتها.

ـ ميمون: مهمتنا الأولى الفتى يا آصف، وبعد التخلّص منه سنفعل

الأشـياء الأخـرى تدريجيـا.

ـ سـلطان: سـأعمل أنـا ودامـغ عـلى اسـتدعاء مرجانـة وتصفيـة الفتـى، عندمـا أسـتدعيكم كونـوا في الموعـد.

كل هـذا التآمـر والـشرّ يُضمـر في الظـلام ونـور المسـكين بـين يـدي شـاهيناز تـروي لـه النـوادر والحكايـا البريئـة، وفي الصبـاح اسـتيقظ نـور ومـشى وانـزوى في إحـدى الأماكـن المخفيـة في حديقـة القـصر وكان يحمـل قلـما وورقـة ويكتـب شـيئا ومـا أن انتهـى منـه حتـى رجـع إلى شـاهيناز فرأتـه مكسـوف الوجـه حزينـا، قالـت لـه:

ـ هدهد ما بك؟

ـ نور: أريد أن أقول لك شيئا يا شاهيناز.

ـ شاهيناز: نعم تكلم لمَ أنت حزين؟

ـ نـور : لقـد رأيـت البارحـة في أحلامـي أنـكِ سـوف تبتعديـن عنـي وأنـا حزيـن جـدا لذلـك، ولهـذا كتبـت لـك شـيئا أريـدك أن تحتفظـي بـه كي تتذكريني، وأعطـى الورقـة لهـا، فحملتهـا وقـرأت كلامـه، كان قـد كتـب لهـا قصيـدة شـعرية قـال فيـه :

ربمـا لم أكتـب عنـك يومـا وأنـت التـي علمتنـي الكتابـة، لكـن اليـوم اهتـز لي شـيطاني ورجفـت أنامـلي وبسـمت محابـري واسـتوت عـلى بحـر الحـروف مراكبـي، إلا أني لمـا حملـت دواتي انسـلت كخيـوط النـور تتـلألأ مـن بـين أصابعـي، عبثـا حاولـت إمسـاكها فلـم أقـدر

فقلت : مالك؟

قالت:

لا تحاول ..

فلن أقدر خط حرف فيه

إني لمّا أهيم بحبري أتيه

اعذرني ..

أنت تريد وصف شيءٍ

لا يوصف

وصف جمالٍ

فوق اللغة

وفوق الحرف

وصف كيان

فوق النحو

وفوق الصرف

كملاك روحيٍ

لا أقدر على سجن جماله

بين جُمل الشرط

وجمل الظّرف

تُحلّق في ملكوت الله

بجناحات

تتغذى من كفيها

الغيمات

وتبيت ببؤبؤ عينيها

النجمات

هي هالة نور تحيا

تلمع ..

تتوهج ..

في هذا المنفى

هي روح تسكن

كل جميل

هي جدول ماء رقراق

يتسربل يسقي كل أصيل

هي شيء ليس له

في الكون مثيل

تذكريني دائما (هدهد)

فلم تُكمل ما كتبه حتى انفجرت بالبكاء وحضنته بقوة وقالت: لن تبتعد عني ثانية واحدة ولن أسمح لكل الدنيا أن تشغلني عنك.

الموت (الصدمة)

وتلك الأيام نداولها بين الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا غالب إلا الله سبحانه وتعالى عما يصفون. تُولد وحدك شخصا ضعيفا ومع الأيام تنمو وتكبر وتنمو معك مشاعرك التي تمتزج مع أناس يكبرون معك وحولك، تتكون بامتزاجها تلك الروابط التي تمدك بالقوة لكي تحيا بل يصيرون هم سبب حبك للحياة وهم مصدر قوتك وهم الأوعية التي تغذيك وتدفئك، أحيانا يكون شخص بمقدار ملايين من البشر، مجرد ابتسامة منه تنفخ فيك روحا جديدة، وتحييك لأمد بعيد في نعيم الغبطة والسرور؛ تُرى ماذا يحدث لك إذا ما غاب عنك ذاك الشخص؟ ستنكسر، ستتألم، ستتعذب لفراقه، ستنهار، والأقسى ستشعر بالضياع وتقهر، ويوما بعد يوم لن تنساه بل سيحرقك فؤادك من شدة الاشتياق وإن مرارة الفقد والاشتياق بعد الموت لا تطاق، ما ستفعل حينها وأنت تشعر بكل ذلك الضياع والحيرة والألم؟ أي دواء سيخفّف عنك الوحشة، أي مسكن سيسكن لوعة الحب في قلبك؟ كيف وكبدك تحت أطباق التراب بردان ولا تقدر على ضمّه إلى صدرك لتدفّئه، كيف وأنت لا تقدر على تقبيل أصابعه المتعبة ولا خدوده الحلوة التي كانت لك أحلى من كل الدنيا؟ كيف وأنت لا تقدر بعد الآن أن تجلس عند قدميه وتحدّق بلهفة إلى جنتك في عينيه؟ كيف وأنت لن تقدر على لمسه مرة أخرى إلا في خيالك؟ فكل يوم نودع أنفسنا، وكل يوم نودع بعضا منا، وتنقص أعمارنا فنودعها، وينقص أناسنا فنودعهم، وأحيانا لا يكفينا الوقت للوداع،

يباغتنا فلا يعطينا فرصة للكلمة الأخيرة، فتبقى في جوفنا كجمرة تهيج أعماقنا، لا تريحنا أبدا حتى نلقيها في جوف من نحب، وللأسف كيف ذلك وهو قد رحل وإلى الأبد، ستبقى تلك الكلمة مرتبطة بكل ذكرياتنا معه وملازمة مشاعرنا نحوه، وستكون هي الكأس التي تحمل في جوفها كل دموعنا التي سنذرفها عليه بعد رحيله.

آاااااه ... لن تسمع صوته مرة أخرى ويا له من العذاب في دنيا ليس فيها صوته، أي عذاب يحل بك وأنت ترى نفسك جثة هامدة بلا روح مكفن وممدد ولا تقدر على أن تعطيه عمرك أو تقسمه معه ولا حتى أياما فقط لتستغلها في عناقه وتمرّغ وجهك في حضنه، على الأقل دقائق لتقول له أحبك، أنا أحبك ولن أنساك فلا تنسني أنت هناك، ولكن (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه)، ولن يجبرك غير الله رب العالمين، ولن ينتشلك من الضياع إلا هو، ولن يملأ الفراغ إلا الإيمان به، ولن يكون عزاؤنا فيه إلا أنه الآن بجوار ربه .

افترق الجميع وبقوا ينتظرون استدعاء سلطان لهم على أحرّ من الجمر، ثم إن سلطان اجتمع بدامغ وقال له:

ـ اسمع ستكون مهمة ثقيلة جدا ولا أرى من يقدر عليها غيرك، وشدّ على كتفيْ دامغ بقوة وقال: دامغ يجب أن تقتله إياك أن تخطئ أرجوك .

ـ دامغ: لا تقلق سيدي لن أرحمه.

ثم إن سلطان أصدر بيانا هاما نشره بين القيادات العليا والمراكز المُسيرة والحساسة في ممالك الجن ودولها وكل شبر منها وكان مفاده أن مناصبا حساسة ورفيعة المستوى سوف تُمنح لبعض الجن، وبهاته المناسبة وجب

أن يحضر كل ملوك الجن وورثة العائلات النبيلة والمشرفة والقيادات السامين في الممالك والكتل السياسية الثقيلة، انتشر الخبر وكان الموعد بعد عشرين يوما من تاريخ الإعلان، طبعا كانت مرجانة على رأس القائمة لأنها وريثة أعظم عائلة ولم يكن لها بُد أن ترفض؛ تمضي الأيام ويقترب الموعد فيتجهز ركب عظيم من قصر الملوك يضمّ كل ملوك الجن الذين يعيشون في القصر، ثم إن مرجانة كانت قد اجتمعت بشاهيناز وقالت لها:

ـ شاهيناز يا ابنتي لن أوصيك بإخوتك.

ـ شاهيناز : بالطبع يا مرجانة كوني مطمئنة .

ـ مرجانة : شكرا لك يا ابنتي وسأعمل على ألّا أتأخر.

ـ شاهيناز : كوني على راحتك يا مرجانة، ثم قبلتها وانصرفت لتهيئ نفسها، واجتمعت بعلاء وقالت له وهي تربت على شعره: علاء لن أوصيك بإخوتك، إنهم صغار فلا تذهب بهم إلى أي مكان ما، وألق عليهم بصرك وعين بصيرتك، إنك وريثي يا حبيبي وأنا أثق بك.

ـ علاء: لا تخشي شيئا يا أمي لن يحدث لهم مكروه، و سألقي عليهم ستر أُخُوتي، وظلال رحمتي، كوني مطمئنة البال، ساكنة النفس والفؤا .

ـ ضمّت مرجانة علاء إليها وقبّلته وقالت: أحسنت يا ولدي، لن أطيل الغيبة.

ومع إشراق الصباح نفخت الأبواق في ساحات القصر فخرجت مرجانة يتبعها أولادها، وكانت شاهيناز واقفة مع جموع المودّعين، فلما وصلت إليها مرجانة حضنتها وقالت لها:

ـ اعتمد عليك.

ـ شاهيناز: فقط استمتعي بالرحلة.

ـ ثم حضنت مرجانة علاء، ثم عرمد، ثم نور، وقالت لعرمد ونور: أحسنا

التصرف.

ـ قال نور: خذيني معك.

ـ مرجانة: قلت لك إن الأمر خطير ولا يسمح بحضور الأولاد، أ تعلم سنذهب يوما ما معا وسأكون أشدّ فرحا يومها لأنك ستكون أنت الفارس الذي سيصفق عليه، لن تكون وحيدا أنت مع إخوتك، ونُفخ في البوق للمرة الثانية عندها حضنت شاهيناز والدها الملك واصب و ودعته، وودعتهم مرجانة وانطلق الركب.

و إذا كان الدخان يدل على السعير، والبعرة تدل على البعير، فإن الأثر يدل على المسير، وسار الركب حتى وصلوا إلى قلعة عظيمة ذات أبراج زرقاء شاهقة، وما أن وصلوا إلى مدخل القلعة حتى ضُربت لهم البُسط الحمر وحظوا باستقبال حسن وهُيّئت لهم غرف خاصة، ارتاحوا ذلك اليوم والجموع من النبلاء والملوك تتوافد من كل حدب وصوب وابتهجت القلعة ابتهاجا مهولا، والتقى تلك الليلة الأصحاب القدامى وأحيوا ليلة جميلة بسرد ماضيهم وتذكر الأيام الخوالي، وسط الجموع اجتمع آصف بسلطان؛

ـ و قال له: هل تلك هي مرجانة؟

ـ سلطان: نعم يا آصف.

ـ آصف : قل لي يا سلطان هل هي قوية بالفعل مثلما كنت تقول؟

ـ سلطان : لا يغرنك شكلها الجميل وابتسامتها اللطيفة، أتمنى أن تمضي الخطة بنجاح.

ـ آصف : سلطان اسمعني إذا كانت تشكل علينا عبئا لمَ لا نقتلها؟

ـ سلطان : ماذا؟؟ أجننت؟؟ ، اسمع يا آصف أ تعي ماذا يعني قتل وريثة شراهيا؟ ستقوم حرب لن تهدأ أبدا، إياك أن تُفكر في هذا نحن نرتّب كل هذا لحماية الممالك والعالم وليس لتقسيمه ورميه في الحروب، إياك أن تتهور إنّ الغضب والعصبية لن تُفيد في مثل هاته اللحظات.

ـ آصف: لا تخف كانت مجرد فكرة رفرفت برأسي.

ـ سلطان: تعال لأعرّفك عليها، وتقدم سلطان وآصف إلى مرجانة وكانت تجلس شاردة تتأمل عبر النافذة إحدى النافورات البديعة التي تتوسط ساحة القلعة، ولم تشعر حتى قال سلطان:

ـ أظن أنّ الليل يُخيفك يا مرجانة.

ـ انتبهت مرجانة وقالت: مرحبا سلطان ثم ابتسمت وأكملت تقول: ليس الليل ما يخيف إن العتمة التي تحجب عنّا الرؤيا هي التي تُخيفنا

ـ سلطان: بالفعل فكلّ شيء متعلق بالرؤيا، لكن أنت تنظرين إلى العتمة في الخارج فلتنظري إلى النور هناك، وأشار إلى الجموع.

ـ مرجانة: لقد قلتها يا سلطان، إن كل شيء متعلق بالرؤيا والنور السّاطع أيضا يحجب عنا النظر لذا أنا هنا بين وبين.

ـ ضحك سلطان وقال: خُذي راحتك، آه نسيت أن أعرفك بآصف.

ـ آصف: مرحبا بوريثة شراهيا.

ـ مرجانة: مرحبا بالبطل القادم من الظلام، سمعت عنك كثيرا.

ـ آصف: جميل، عكسي أنا تماما، فأنا لم أسمع عنك كثيرا.

ـ مرجانة: جميل أنّك لم تسمع عنّي، فيختلف الأمر بين أن تسمع المكذوبات وأن ترى الحقيقة جاثية أمامك.

ـ انفعل آصف وقست ملامحه، ثم تدارك سلطان الوضع وقال: تبدين مُتعبة قليلا، أتمنى أن تتمتعي بالحفلة، أما أنا وآصف لدينا الآن ما يشغلنا.

ـ مرجانة: شكرا لك يا سلطان، حتى أنا سأذهب لأستريح في غرفتي، لقد تشرفت بك يا آصف.

لم يقل آصف كلمة واستدار ذاهبا ثم تبعه سلطان ولما أدركه قال له غاضبا:

ـ آصف ما بك؟ ما تظن نفسك فاعلا؟

ـ آصف: أ لم ترى كيف كانت تتكلم؟

ـ سلطان: من يهتم لما كانت تقول، ألم أقل لك لا تُفسد علينا الأمر بعصبيتك ورعونتك؟

ـ آصف: لم أفعل شيئا يستحق منك كل هذا التأنيب.

ـ سلطان: إن مرجانة مضطربة وربما تفكر في ابنها، فهي لم تغادر القصر منذ عشر سنوات، ونحن ما يهمّنا هو أن نبقيها هنا أكبر قدر من الوقت حتى يتمكن دامغ من الظّفر بعنق الفتى إن مهمته أصعب من مهمتنا، اسمع تقيّد بالخطة أرجوك.

ـ آصف: آسف يا سلطان.

ثم إن مرجانة عادت إلى غرفتها، وقلبها يعتصر ولا تعلم لماذا، ثم أنشأت تقول: ما الذي قلتِه لآصف يا مرجانة، لم تكوني سيئة الأدب من قبل، أوف.. لم أرتح له أحسست بنظراته تكرهني، ثم ماذا أفعل هنا؟ وبقيت تلوب كلّ الليل بأركان الغرفة تشدّ وتعارك شراعات سفينة سكينتها على موج الوسواس الذي هاج بأعماقها؛ بان الصباح يرشق نافذة غرفة

مرجانـة، فتحركـت ووقفـت أمـام النافـذة لتبـادل تحيـة الصبـاح الممتزجـة بضحكـة البحـر، لكنهـا كانـت تُحـس وكأن أحـدا ينقـر في قلبهـا، ثـم جمعـت أغراضهـا وقـرّرت العـودة إلى القـصر ومـا إن وصلـت سـاحة القلعة إذ بسـلطان يُفاجئهـا.

ـ سلطان: إلى أين يا مرجانة؟

ـ مرجانة: إلى قصر الملوك.

ـ سـلطان : و لِمَ؟ أ لم نحسـن ضيافتـك؟ ، إذا كان الأمـر متعلقـا بآصـف ومـا وقـع البارحـة، فآصـف سـيعتذر لـك.

ـ مرجانـة: لا أبـدا، ليـس الأمـر مـا تقـول البتـة، فقـط أريـد العـودة إلى البيـت، سـتمضي الأمـور كنـت أو لم أكـن موجـودة، فالـكلّ يعلـم أني اعتزلـت السياسـة منـذ وفـاة أبي وأصبحـت تخنقنـي هاتـه التجمعـات الرفيعـة المسـتوى، أريـد فقـط العـودة إلى أريكتـي وكتبـي.

ـ سـلطان: لا لـن تذهبـي إلى أي مـكان، ولـن تمـضي الأمـور بدونـك، أنـت أعظـم شـيطانة وزعيمـة أعظـم عائلـة وعشـيرة ووريثتهـم، ويجـب أن تكـوني هنـا في مثـل هاتـه المُجريـات الحساسـة.

ـ مرجانة

: أشـكرك يـا سـلطان، لكـن سـأغادر الآن أنـا آسـفة، وهمّـت بالتقـدم فاعترضهـا سـلطان ووقـف أمامهـا، انبثقـت شرارة مـن عينـي مرجانـة وقالـت: اسـمع يـا سـلطان قلـت سـأغادر وأنـا الآن مغـادرة ولـن توقفنـي محاولاتـك ولا أي شـخص آخـر.

ـ سلطان: يا مرجانة ماذا سأقول للحضور؟ حتما سيسألون عنك.

ـ مرجانـة: قـل لهـم مـا شـئت، وهمّـت مكملـة مشـيها فاعترضهـا ثانيـة، فكـشرت عـن أنيابهـا ودفعتـه بكتفهـا وزاد إصرارهـا مـع محـاولات سـلطان، ومـا إن أدرك سـلطان أن مرجانـة لـن توقفهـا كلماتـه، صـاح عليهـا توقفـي يـا مرجانـة وظهـر مـن هنـاك آصـف وتيقّنـت مـما كان يُحيـط بهـا مـن وسـاوس، ومـا كان يختلـج في صدرهـا مـن اضطـراب، ومـا كان جاثمـا عـلى قلبهـا مـن قلـق؛ أرخـت أصابعهـا عـن قبضـة حقيبتهـا وأغمضـت عينيهـا ورفعـت رأسـها للسـماء وبـدأ ريـح يلامـس أطـراف عباءتهـا ويشـتد وذلـك قبـل أن تصفـع حقيبتهـا وجـه الأرض وقبـل أن يتحـرك سـلطان وآصـف مـن مكانهـما، حتـى هاجـت زوبعـة زرقـاء مهولـة وهـاج البحـر مـن وراء القلعـة وصرخ صـوت عظيـم مـن السـماء الغاضبـة وانفجـرت تلـك الزوبعـة فقتلـت كل الحـراس الذيـن كانـوا في السـاحة ورمـت بسـلطان وآصـف بعيـدا واختفـت مرجانـة.

في إحـدى الأيـام تجمّـع سراب وتكـوّر وبـدأ يـتراءى حتـى اسـتوى عـلى هيئـة ولـد ذو عـشر سـنوات، لم يكـن يـدري ذلـك الولـد مـا الحيـاة ومـا يـدري مـا هنـا ومـا هنـاك، خـرج يلقـف الخطـوات متشـبثا بصـوت أخيـه الـذي كان يسـبقه بنسـمات، يتضاحـكان ويمرحـان بـل ويقهقهـان، لم يبتعـدا كثـيرا وتوقفـا يقتسـمان شـيئا مـا، حتـى إذا مـا رفـع الولـد رأسـه رأى زحمـة في المـكان وغبـارا يمـلأ الأركان وواحدهـم يلـوّح بمصفحـه عليـه، اتسـعت عينـاه وبهتـت وجنتـاه وتجمـدت قدمـاه وفي لمـح البـصر ارتمـى أمامـه أخـوه وحـال بينـه وبـين المصفـح والتقـاه، وهنـا تناثـر عـلاء كالمرايـا فـوق جسـد أخيـه، ولم يشـعر إلا بشـخص حضنـه وفـرّ بـه للأمـان، كانـت أمـه؛ حـدث كل شيء في ثـوان، وهـو تحـت الصدمـة عينـاه تجمـدت فيهـما الدمـوع ويقـول: يـا

أمي أين أخي؟ ماذا حدث؟ فتقول له وهي تنهت: لا تخف.. لا تخف.. سآخذك لأمك، وهنا سالت دمعتان وزادت دهشته وقال لها: ومن أنت إذا؟ ثم اختفيا.

نعم كانت أمه من ضربت عنق دامغ وحضنت نور وفرّت به إلى قصر شراهيا، أين كانت قد ولدت به، وقد تركت رماد علاء منثورا هناك في قصر الملوك، وتبعها جنود من قومها بعدما أعلنوا الاستنفار الأقصى في صفوفهم، لم يتوقف نور عن الصراخ ودخل حالة من الصدمة، فكان لا يسمع ولا يرى ولا يعي أبدا ما يدور حوله، فقط كان يزيد ويشتد صراخه وينادي على أخيه علاء وصُعق مغشيا عليه، وأما ما كان من أمر سلطان وآصف فإنهم لما اختفت مرجانة طفق الجن الذين كانوا في القلعة يخرجون من غرفهم والوجل على وجوههم، حتى رأوا الحراس ميتين وآصف وسلطان ساقطين لكنهما بخير، هرعوا إليهما والجميع مدهوش من المنظر وتتفرقع في همساتهم أسئلة كثر، قام سلطان وقد علم أن الأمر انفضح ولا يمكن إخفاؤه بعد الآن؛ لأن مرجانة لن تسكت عن الأمر، و أدرك أن حربا شعواء قد لاحت ألسنة لهيبها في الأفق، ثم أخبر الجميع بكل شيء كان طيّ الكتمان. أما نور بقي في تلك الغيبوبة يومين فلما أفاق قام كأنه مُمَغنط، عيناه كانتا كالدينار، أو كعينا بومة مسحورة، ثم جلس على السرير وبقي نظره معلقا في موضع واحد لا يرمش، وبقي هكذا بلا حركة حتى دخلت عليه مرجانة وعرمد فوجدوه على تلك الحال، تنهدت مرجانة وراحت تجري إليه وأمسكت بيديه وقالت:

ـ نور كيف حالك حبيبي؟

ـ لم ينطق نور بكلمة وبقي مجمدا مصدوما ووجهه شاحب، دمعت عينا مرجانة فراحت تخفي حزنها وتمسح عينيها، وهنا تحرّك رأس نور بهدوء ونظر إلى أمه وقال:

ـ أين علاء؟

ـ مرجانة: نور يا ولدي...

ـ قاطعها قائلا: أين علاء؟

ـ مرجانة لم تستطع أن تتمالك نفسها وقالت: لقد مات.

ـ نور: لا، لقد ارتمى أمامي، علاء لم يمت لقد قتل، وكان القاتل يريدني.

ـ مرجانة: اسمعني يا حبيبي، لا أحد يريدك بشر.

ـ انفجر نور بالبكاء وقال: لقد قُتل بسببي فلماذا يا أمي؟ أنا لم أكن أريده أن يموت.

ـ بدأت مرجانة تمسح عيني نور وتقول: لا أبدا، إياك أن تفكر أن علاء قتل بسببك، علاء لم يمت من أجلك، بل مات بسبب سكين الحقد والغدر.

ـ نور: وأين نحن الآن يا أمي؟

ـ مرجانة : نحن في قصر أبينا شراهيا، أنت محصن هنا ولن يستطيع أحد الوصول إليك.

ـ نور: ولما يريدون الوصول إليّ؟ ماذا فعلت؟

ـ مرجانة: لم تفعل شيئا يا نور، قد حدث اضطراب ومشاكل وإن هذا هو العالم، يجب أن تعلم أن فيه الخير و الشر، ولابد أن نتعرض في حياتنا لكليهما، فقط يجب أن نكون أقوياء في مواجهة ما قد نتعرض إليه.

ـ نور: وأين شاهيناز؟

ـ مرجانة: لن تكون شاهيناز معك يا ولدي، فهي لا تنتمي إلى عائلة شراهيا، ولن تستطيع أن تكون معنا، لكن لا تخف أنت لست وحدك فعرمد معك ولن يبتعد عنك للحظة.

ـ نور: ماذا تقصدين، وأين أنت ذاهبة؟

ـ مرجانة: سأبتعد قليلا يا نور فأنا الوريثة وأنا الزعيمة ويجب أن ننهي هاته المهزلة، لكن لا تبتئس لن يطول الأمر.

ـ نور يبكي ويقول: لا يا أمي أرجوك إني خائف، لا أريد أن يحدث مثل المرة الأولى.

ـ مرجانة: لا أبدا لن يحدث شيء، أنت لست وحدك، أنت مع عرمد والقصر ممتلئ عن آخره بالرجال الأشدّاء وقد انتقلت كل عشيرتنا إلى هنا، أنت بأمان يا بني، لكن مهما حدث كن قويا، وحضنته وفاضت عاطفتها وقالت له: تذكّر دائما أن أمك تعشقك.. تعشقك.. تعشقك.

ـ سقط نور بين كلمات أمه وحجبت يد الكآبة والحزن إشراق وجهه و بدأ يغوص في حالته الأولى، لم تتحمل أمّه الموقف وقبل أن تنهار أمامه قبّلته وخرجت مع عرمد وتركاه وحيدا في مكانه، وما إن أغلقت الباب سمعته يقول:

أرى مدينة الأحلام هنالك تختفي بين الضباب

وأنا أُهرول باكيا أمدّ يدي إلى أمي

لا تتركيني ها هنا وحدي كئيبا في الظلام

إن الله يحاسبك علي

فلا لا تفعلي

هاتي يداك

وأمسكيني..

واسحبيني..

وخبئيني.. تحت مئزرك القرمزي

لا تحرقيني يا ملاكي

لا تسحقيني..

لا تتركيني قشّة ضاعت بهذا الليل السرمدي

من يحاكيني

من يلاعبني

ومن.. ومن..

يا أمي بُعدك أهلكني وأعمى ناظراي

فتنكسر وتقول لي:

لا، لا تخشى شيئا يا بُني

ستحضنك أبد الدهر ما حييتُ مدامعي

ومن يومها وأنا المدامع كلها

أبكي بحرقة بركان تسربل ضيمه في داخلي

أسمع صوتها من ها هناك تغيب وتختفي

وتقول لي:

لقد تركتك كاسرا، فلا تنكسر

وانس صورتي وملامحي

سيأتي يوم وتفهم ما يجول بخاطر الأيام

وما يجول بخاطري

واعلم بأنه قد أحبك عالمي

قد عشقتك كل جوارحي

يا ولدي أرجو السماح

ستفهم يوما كل شيء

ستدرك يومها احتراق مشاعري

إني أغيب الآن

فأرجوك يا ولدي أن تنسى صورتي وملامحي

واثبت بنفسك يا صغيري على خطاك

ووعدي بأن ستحضنك ما حييتُ مدامعي.

وما إن أكمل كلامه حتى غاب عن الوعي ورجع سيرته الأولى وأمّه سقطت من وراء الباب تبكي فأمسكها عرمد وبعض من كان هناك وحملوها إلى غرفة من غرف القصر. وأما ما كان من أمر سلطان فلمّا بلغه موت دامغ وقتله لعلاء بالخطأ وانتقال كلّ عائلة شراهيا والعشيرة إلى قصر أبيهم وانضمام بعض طوائف الجن إلى صف مرجانة أدرك بوجوب الحرب؛ لأنه حتى ولو تنازلت الجن عن طلب نور فلن تتوقف مرجانة ومن معها في طلب روح وريثها وابنها البكر، ثم دار به بعض من ملوك الجن ورؤساء دول الممالك ومعهم الملك صخر والملك رعد وأعلنوا الوقوف معه في الحرب، حتى الملك واصب أب شاهيناز انضم إلى سلطان وأمر بسجن ابنته بعدما قبض عليها جنوده في الطريق متجهة

إلى قصر شراهيا، وبقيت شاهيناز تحترق على نور في غرفتها وتحمل تلك الورقة التي أعطاها له ويشتد بها البكاء والحزن حتى ابتلع المرض صباح جمالها الفتّان.

أفاقت مرجانة ورمت لباس الأميرات ولبست لباس الحرب وتهيأت وخرجت واجتمعت بقومها وصارت تخاطبهم وتقول:

ـ كلكم الآن صار يعلم ما كان في الماضي طي الكتمان، وكلكم يعرف مرجانة جيدا، لن أتنازل عن شعرة من شعر أبنائي أو أبناء عشيرتي، وقد صار لي ثُرة عند المجلس الأعلى والحرب على الأبواب، اعلموا أن الحرب حربي ولن أجبر أحدا عليها، ولست أريد رمي أي أحد منكم في مهالكها، أما أنا فماضية في حربي وأعلم مصيري، وما طلبي إلا أن تحموا عرمد فهو وريثي وهو منكم وإليكم وواجبكم الالتفاف حوله.

هناك تقدم مارد عملاق شديد البياض وله أربعة أجنحة وقال:

ـ ما الذي تقولينه يا مرجانة؟ الحرب حربنا وعلاء ابننا ولن يتخلف عنك منا رجل واحد، إن قلت الحرب فهي الحرب إذا.

ـ مرجانة: شكرا لك يا أدهم، ونظرت إلى الحاضرين وقالت: وما قولكم؟

كان ردهم جميعا يوافق ما قاله أدهم الذي هو قائد الجند.

ـ مرجانة: فلتتهيؤوا لأي هجوم مباغت، ثم طلعت إلى أعلى غرفة في القصر كانت كمنارة عالية جدا وبقيت هناك وحيدة تفكر ثم استدعت أدهم وعرمد، فلما دخلا عليها وجلسا قالت:

ـ لقد صرت كبيرا يا عرمد، كان قدرك أن تتحمل المسؤولية في هذا العمر وفي هذا الوقت.

ـ عرمـد: لا أظـن العمـر يقـاس بالدقائـق أو الأيـام، إن العمـر يقـاس بما عشـناه فيهـا مـن أحـوال وتعلّمنـاه مـن الحياة.

ـ مرجانـة : نعـم بالفعـل، لقـد فعلـت كل مـا بوسـعي لحمايتكـم وسـأفعل كل شيء إلى آخـر رمـق، ومـع ذلـك سـارت الظـروف إلى مـا هـي عليـه الآن.

ـ عرمـد: لا تحمّـلي نفسـك كل هـذا الضغـط، لـو كانـت جنيـة أخـرى في مكانك لتهـاوت سريعـا، لقـد فعلـتِ كل شيء وبالطريقـة الصحيحة.

ـ مرجانـة: اسـمع يـا عرمـد نحـن عـلى مشـارف الحـرب، ولقـد اسـتدعيتك لأثقـل عليـك حمـل المسـؤولية، لقـد حـان الوقـت لتحـلّ مـكاني.

ـ عرمد: ماذا تقصدين؟

ـ مرجانـة: تحـلّ مـكاني لتصـير أنت الوريـث الشرعـي والزعيم الشرعـي للعائلة.

ـ عرمد: ماذا؟؟ و لِمَ؟؟ وأنتِ؟؟

ـ مرجانـة: أنـا انتهـت مهمتـي ولا أعلـم إن كنـت سـأنجو مـن الحـرب، وحتـى إن نجـوت أنـا امـرأة ويكفينـي حمـلا للمسـؤولية إنـه دورك الآن.

ـ عرمد: أرجوك يا أمي توقّفي عن هذا الكلام.

ـ مرجانـة: يجـب أن تتقبـل هـذا الـكلام وهاتـه الحقيقـة وتُصـارع الوقائـع، لا تكـن أضعـف زعيـم يتزعـم أقـوى عائلـة وعشـيرة، ثـم قامـت بإشـعال الشـموع وقالـت لـه تعـال أعطنـي يـدك، فمـدّ يـده وصـارت تتمتـم وتبسـط كفهـا عـلى كفـه، فشـعر عرمـد بتسـرّب حـرارة عظيمـة مـن يـد أمـه إلى يـده، وصـار دمـه يغـلي والعـرق يتصبّـب، فلـما فرغـت مـما كانـت تفعـل ونظـر عرمـد إلى كفـه فـرأى ختـم الوراثـة وصـار هـو الوريـث الشرعـي وانتقلـت

إليه بركة أبيهم، ثم قالت:

انتهت مهمتي وبدأت مهمتك، أنا أأتمنك على قومك وأعلم أنك على قدر المسؤولية، أما نور فمن الآن قد صار قادرا على حماية نفسه، ثم نظرت إلى أدهم وقالت له: إني أشم رائحة الدماء يا أدهم إنها على مشارف القصر، إن الحرب تعوي، اسمع عندما تبدأ الحرب إياكم والاقتراب من سلطان وآصف دعاهما لي فليس بينكم من يقدر عليهما غيري فأنا سأكفيكم شرهما، والآن إني أريد الاتصال بالعالم الآخر وسأذهب الآن، إن القصر في حمايتك يا أدهم، لن أطيل.

غادرت مرجانة القصر ذاهبة إلى جبل قاف واتصلت بالعالم الآخر، دخلت مرجانة عند ذلك الملك فوجدته على حالته التي تركته عليها منذ إحدى عشر سنة لم يتغير شيء، قالت له:

ـ مرحبا، كيف حالك؟

ـ الملك : مرحبا يا مرجانة، بخير وأنت؟

ـ مرجانة: لست بخير، أبنائي وعشيرتي في خطر.

ـ الملك : أعلم يا مرجان ، قلت لك قبلا أنك ستقعين في المشاكل ولم تهتمي لكلامي.

ـ مرجانة: جئت إليك كي تساعدني.

ـ الملك: لا أستطيع مساعدتك يا مرجانة، إن عملي يقتضي أن أبقى هنا خلف هذا الباب إلى يوم القيامة.

ـ مرجانة: أرجوك أرسل معي بعض جندك.

ـ الملك: هذا يستحيل، فنحن الملائكة لسنا مخيرين مثلكم نحن نمتثل

للأوامر وكلٌ منا خلقه الله تعالى لعمل محدد لا يبرحه.

ـ مرجان : هل يمنعك الله من مساعدتي؟

ـ الملك : إن الله لم يأمرني بغير عملي هذا، والله مدبر لكم أمركم.

خاب ظن مرجانة وكُسف وجهها وهمّت راجعة بسرعة، فلما وصلت مرجانة إلى قصر شراهيا وجدت نفسها على هامش الحرب وسلطان وآصف وجنودهما أوقعوا مقتلة عظيمة في قومها، فجنّ جنونها وطار المشهد بصوابها وهاجت تدور وتصرخ بصراخ عظيم يخلع القلوب، ما إن رآها قومها حتى فرحوا وسكن الرعب جنود سلطان، وتدخل قلب المعركة تقطع أعناق الفرسان وتقسم خيولهم وتشرب من دمائهم وعيناها غائرتان في البياض من شدة الهيجان، ذُهل الجميع من شراستها، وازداد هلع الجنود في صفوف سلطان، ثم قال سلطان لآصف: كنت سألتني من قبل عمّا إذا كانت قوية، وها أنت ترى بأم عينك فإن لم نتدخل ستلتهم جنودنا، إنها مرعبة لقد صارت وحشا، وصارت مرجانة من قلب الدماء والرماد تصيح على سلطان: لقد قتلت ولدي يا سلطان، فلذت كبدي يا سلطان، لقد قتلت عشيرتي يا سلطان، سأشرب دماءك، سأحرقك حيا، سأهدمك، وبدت وكأنها تهذي، أين أنت أيها الجبان؟ أين أنت يا سلطان؟ يا ويلك مني يا ويلك، وبانت أنيابها وازدادت وحشيتها وعرمد يرى أمه على تلك الحالة تتفجر بالغيظ وبالعذاب، رآها تحترق بذلك التماسك الذي كانت تتصنعه، انفجر بالبكاء واشدت حرارته وراح يخيط جموع الفرسان بسيفه وُحدث فيهم مجزرة مهولة حتى صاروا هاربين منه، انقلبت موازين المعركة ومرجانة تفترس الجنود وتخلع الفرسان

كأنهم دمى، هنا تدخل سلطان وآصف و وقفا أمامها، فقالت:

ـ لقد بنت أخيرا أيها الخداع، لقد قتلت ولدي وتعدّيت على حرمة قصري وأنزفت دماء عشيرتي، أقسم لك أنها آخر لحظاتك.

سلطان: لا تغتري بنفسك كثيرا يا مرجانة، وإنك أنت من أراد ذلك، لم نرد أبدا أن تنقسم الجن وتتقاتل من أجل وحش حملته في أحشائك، ولعنة أتيت لعالم الجن بها، ولم تكن لنا نية أبدا في قتل علاء، لقد ارتمى في بئر المنية وحده .

ـ مرجانة: إن علاء أخ لنور وكلاهما ولداي، وقتلك لأحدهما هو قتلي، لقد قتلتني يا عفن ولن تنجو مني، سأرميك في بئر المنية بيديّ.

ـ آصف: يبدو أنك شديدة التبجح، تظنين أن سلطان لقمة سائغة، كنت سأتركك له وحده لكن أريد أن أؤدبك أيضا فسلطان طيب القلب.

ولم يكمل كلامه حتى خطفته مرجانة بلمح البصر وطارت به وهي تنفث كالأفعى في وجهه فلحقها سلطان وضربها على ظهرها فسقطت وتحرر آصف، ثم تقدم منه سلطان وقال له:

ـ لا تستخف بها، إياك أن ترخي دفاعك.

و دارت بينها و بين سلطان وآصف، معركة عظيمة، وكانت تتلقى الضربات وتزفها لهما، وعرمد لم يقدر على تحمل المشهد فتملص من بين الجنود وراح كالبرق إلى أمه ولم يهتم بوصيتها حين قالت له هو وأدهم بأن لا يتدخلوا في معركتها معهم ويتركوهما لها وحدها، لكن أدهم كان بالمرصاد له وأحكم شدّه، وصاحت أمه عليه:

ـ تراجع، إياك أن تتقدم شبرا واحد وهي تنزف، وسلطان وآصف كذلك.

كانت المعركة متساوية على جميع الأصعدة رغم قلة جنود مرجانة وكثرة جنود سلطان، فتعب الجن في تلك المعركة وخسروا الكثير من الجنود ورغم اشتغالهم بالقتال إلا أن عيونهم كلهم كانت على قتال مرجانة لسلطان وآصف، لم يشهد عالم الجن قتالا مثل هذا خصوصا بين عمالقة الجن ولم يرو التاريخ عن هكذا حدث، وما أن رأت مرجانة أن التعب تلبّس آصف وسلطان حتى قالت:

ـ الآن انتهى أمركما، لن تقدرا على الهرب مني، ولم يشعرا حتى شدتهما بسرعة خاطفة وقالت: قتلت ولدي يا سلطان والآن ستلحق به أنت وهذا الكريه، وابتسمت وتمتمت بكلمات وألقت بتعويذة ، فدارت بهم تلك الزوبعة الزرقاء وحجبتهم عن الجميع ثم انفجرت بهم فطار كل واحد منهم في جهة، فقطع ذراع آصف من كتفه، وتفجّرت الدماء من فم وصدر سلطان، وأما مرجانة فكانت أكثر المتضررين، هنا توقف الجميع عن القتال ونظروا كلهم باتجاه الدوي الذي سمعوه، وتملص عرمد من يد أدهم وألقى بسيفه وراح يجري ويبكي باتجاه أمه، لحق أمه وهي تلفظ الأنفاس الأخيرة وصار يغلي ويصيح إن كان هناك طبيب أو أحد ما ، فشدّت رأسه وقبّلته وقالت:

ـ لا داعي أنا الآن أحتضر إن علاء يناديني وقد هيّأ لي مقعدا مريحا، أُحضن نور بدلا عني وأقرئه محبتي وعشقي، أنا غير نادمة يا ولدي لقد عشت لأجلكم ومت لأجلكم وأحبكم يا وريثي ويا زعيمي، عرمد حبيبي لا تنس أمك، لا تنسني وأنا هناك، سأشتاق لكما، وداعا، وبدأت

تتحـول إلى رمـاد شـيئا فشـيئا.

فهـاج عرمـد يعـوي و ُسـمَع صريخـه مـن السـماء السـابعة ويشـدّ الـتراب ويـضرب وجهـه، ويقـول:

ـ قتلتـم أمـي يـا خونـة، لمـاذا قتلتـم أمـي يـا خونـة؟ هـل ذنبنـا أننـا مـن عائلة شراهيـا؟ لمـاذا تقتلوننـا وتكرهوننـا وتحقـدون علينـا؟ ويعـوي بعـواء شـدي .

ثم إن سلطان متهالكا بكى وقال:

ـ لم أتمن أبدا أن يحدث هذا.

ـ وقال آصف: لقد قتلتنا مرجانة يا سلطان، الوداع يا أخي.

ولم يكمـل آصـف كلامـه حتـى تحـول إلى رمـاد، و لحـق بـه سـلطان، فـمات أعظـم الجـن دُفعـة واحـدة وفي معركـة واحـدة.

تدخـل ملـوك الجـن وأوقفـوا تلـك المعركـة وألقـوا بسـيوفهم وتقدمـوا إلى عرمـد وقالـوا لـه يجـب أن يُرمـى رمـاد أمـك في مقـبرة عظـماء الجـن مـع سـلطان وآصـف وكل مـن مـات اليـوم ويجـب أن تحظـى بجنـازة تليـق بهـا.

ـ بـدأ عرمـد يـصرخ ويقـول: كنتـم تسـتطيعون فعـل هـذا منـذ البدايـة، وتحقنـوا الدمـاء، والجميـع سـاكتون.

وأمـا مـا كان مـن أمـر نـور فإنـه فلـما سـمع بـوق الإنـذار يعلـن بالهجـوم المباغـت وبـدأت الحـرب صـار ينظـر عـبر النافـذة ويُشـاهد الدمـاء وكيـف اشـتغل الأبطـال بالأبطـال ويسـمع صيحـات الأهـوال وكيـف خطبـت السـيوف عـلى منابـر الرقـاب، فخـاف خوفـا شـديدا واختبـأ تحـت سريـره وجعـل يُغلـق أذنيـه ويبـكي وشريـط اللقطـات التـي رآهـا عـبر النافـذة عالـق بـين رموشـه، حتـى سـمع صريـخ أمـه وصياحهـا، وهيجانهـا، وظـلّ عـلى تلـك الحـال حتـى

دخل عليه عرمد وأدهم وأخرجاه من تحت السرير مغمى عليه شبه ميت، استدعوا الطبيب فكلما يلقي عليه تعويذة تتعطل، ولم تفلح كل أعمال السحر معه، فأعطاهم دواءً من الأعشاب دهنوا له به جسمه لتنخفض حرارته ووضعوه على السرير ليرتاح واشتغلوا بالجرحى وتحضير الجنائز لرمي رماد الموتى في مقبرة عظماء الجن مع مرجانة وآصف وسلطان، ثم إن شاهيناز لما سمعت بنبأ موت مرجانة صارت تلوب في ردهات القصر وتبكي وتعتصر من شدّة حزنها، وصارت تتوسل أباها كي يرسلها إلى قصر شراهيا لتلقي نظرة أخيرة على رماد مرجانة، وتسأل عن نور فلم تعلم ما كان من أمره لأن أباها ومن معه لما توقفت المعركة حملوا رماد سلطان وآصف وتركوا رماد الباقين ليجمع مع ضحايا جنود مرجانة ورمادها، ثم عادوا إلى القلعة التي انطلقوا منها ومن هناك رجع كل أحد إلى بيته ليقضي مشاغله، ثم يعاودوا الاجتماع من جديد في القلعة لإقامة الجنازة، بعد محاولات شاهيناز سمح والدها أخيرا بإرسالها، وعلى عجل ركبت وانطلقت حتى وصلت قصر شراهيا ودخلت تجري فالتقت بعرمد وما إن رأته انفجرت بالبكاء و رمت عليه تحضنه، ثم أخذها عرمد لتلقي النظرة الأخيرة على رماد مرجانة، وبعد ذلك أخبرها أن نور مغمي عليه وهو يرقد في إحدى غرف القصر، وسار معها إليه لم تتمالك شاهيناز نفسها عندما أشار لها إلى الغرفة فهرعت تجري ودخلت عليه، وعرمد مازال خارج الغرفة يسمع شاهيناز تصيح وتقول:

ـ أين نور؟ أين نور؟

أسرع عرمد ودخل وراءها فلم

الخاتمة

تختنق أحيانا وتختفي عن نفسك، هناك في ظلام الذاكرة تُشعل شمعة نصب عينيك تتوهج هالتها في سكون مطبق، اتساع مخيف يجعلك تحس بالألم والوحدة، فتجلس مُسندا ظهرك على السواد، فيتلبسك بكلك يشرب بياض عينيك ويطفئ نور الشمعة أمامك، تتوقد ولا تراها، تُصبح في لحظة ما تخاف من كل شيء، حتى من أفكارك وتصوراتك، ثم تقسو... تقسو... تقسو... إلى درجة مخيفة من الصلابة، ثم تتفكك وتتفتت في لحظة انهيار، وتذوب وتتميع بشكل مرعب ومُهيب، ستنصهر على بعضك حزنا ورعبا، تتمنى لو أن الأمور لم تسر على هذا النحو، تتمنى لو قدرت على أن تتحكم بمجريات الأحداث، تتمنى لو أن الحياة أعطتك فرصة على الأقل أن تُنقذ ما يمكن إنقاذه، لكن لن يرحمك أحد، لن ترحمك إلا دموعك التي تُذيب حزنك وتُخرج قليلا منه ليكسو وجهك الباهت الحائر، ستبكي كل يوم و ن تقدر على فعل شيء، ستشهق كثيرا على ضعفك، وترمي بنفسك فلا يحتضنك أحد، ولا تعلم لماذا؟ تتضرع لله أن ينقذ ما تبقى، تدعوه على الأقل أن يُبقي العذاب كما هو فقط ولا يزيد، فمتى نرتاح ونستوعب تفجّر الأفكار في أدمغتنا الذائبة؟ متى يأتي ذلك اليوم الذي تكتمل فيه اللعبة، ويتوقف كل شيء فجأة، وينطفئ ضياء السعير وتخمد النيران؟ فنجلس وسط الرّماد منهكين، خائري القوى، نحدّق في الخراب، نرفع أيدينا إلى السماء فتعلق أعيننا بين وديان أكُفنا وتشققاتها ومنعرجات تضاريسها العميقة، ترى روح الموت

تطـوف هنـاك تحمـل سـلة زهـور تنثرهـا عـلى قبـور ضحايـا هـذا الفنـاء،

ثـم تضـم ذيـن الكفـين بقـوة عـلى قسـمات وجهـك وتهـرع بالعويـل، ينفلـت مـن حنجرتـك الـصراخ، وتنهمـر عينـاك بالدمـوع تُغـرق وجهـك وتمتـزج بغبـار الرمـاد المتكـدس فـوق ملامحـك القاسـية وأناملـك المرتعشـة، وتشـهق.. تشـهق.. تشـهق.. حتـى ينقطـع نفسـك وتسـتنزف آخـرك المشـحون، ويتفتـت تماسـكك، وتنهـار عـلى الأرض مدفونـا بـين شـظايا الدمـار، ثـم لا أحـد يسـمعك، ولا أحـد يعلـم مـا يجـري لـك هنـاك في داخلـك، يـراك ولا يبـصرك، يسـمعك ولا يفهمـك، وإذا مـا أحـسّ أحدهـم بـشيء مـا منـك، يسـيل لعابـه ويتسـع بؤبـؤ عينـه ويُحـضر شـموع المسـاء ليفجّـر مأدبـة عـلى شرف التهامـك، فهـل سـنُبعث مـن هـذا الرّمـاد ونـردّ الصـاع صاعـين؟

انتـشر خـبر اختفـاء نـور في القـصر، وصـار الجميـع يبحـث عنـه ولكـن بـدون فائـدة لم يجـدوا لـه أثـرا أبـدا، مـرّت ليلتـان عـن اختفـاء نـور و عـث الجـن إلى عرمـد أن يتوجـه برمـاد أمـه وضحايـا الحـرب إلى القلعـة، كان عرمـد في هاتـه اللحظـة محتـارا في اختفـاء نـور، هـدم صرح ثباتـه، لكـن كان أدهـم معهـم فقـال لـه:

ـ اذهـب يـا عرمـد وأنـا سـأبقى لـن أبـرح القـصر وسـأكثّف البحـث عنـه وسـنجده لا تخـف.

عرمد: شكرا لك يا أدهم، أرجوك افعل كل ما بوسعك.

ـ أدهم: اعتمد عليّ.

ثـم إن عرمـد توجـه إلى القلعـة وشـاهيناز إلى قـصر الملـوك وقبـل أن يفترقـا في

الطريـق اتفقـا أن يبقيـا عـلى اتصـال وأن يخـبر أحدهـما الآخـر إذا مـا ظهـر وبـان شيء مـن خـبر نـور، ومـشى الحـال بعرمـد إلى أن وصـل إلى القلعـة، وأقيمـت جنـازة ضخمـة وعظيمـة، بـكى فيهـا كثـير مـن الجـن مـن ملـوك ومـن عامـة، بكـوا عـلى هاتـه الخسـارة والكارثـة التـي لم يسـبق لهـا أن حدثـت بـين بنـي الجـن، ثـم حملـوا رمـاد الجميـع وقطعـوا بـه السـبعة أبحـر أيـن بحـر الملـوك ومقـبرة عظـماء الجـن، ونـثروا رمادهـم هنـاك ورجعـوا إلى القلعـة، وصـار كل واحـد يعـزي الآخـر ويعـزون عرمـد في أمـه وأخيـه، مكـث عرمـد ثلاثـة أيـام في القلعـة، وفي الليلـة الرابعـة نـادى عليـه الكبـار مـن القـوم ليتحدثـوا في شـأن الحـرب، فلـما دخـل عليهـم عرمـد وجـد كبـار الملـوك مثـل الملـك صخـر، والملـك رعـد، وغيرهـم، وكبـار السـحرة عـلى رأسـهم برقـان، كانوا يجلسـون عـلى طاولـة واحـدة، وفي الجهـة المقابلـة للطاولـة كـرسي واحـد فخـم قـد خُصّـص لعرمـد وأمـا الآخـرون متفرقـون ينظـرون، أحـس عرمـد وكأنـه في مُحاكمـة، لم يعجبـه ذلـك المنظـر البتّـة، ولمّـا طُلـب منـه الجلـوس رفـض وفضـل أن يبقـى واقفـا.

وأمـا مـا كان مـن أمـر نـور فإنـه لمـا أفـاق مـن صعقتـه كانـت أرصـاد مرجانـة قـد تفسـخت بعـد موتهـا، فصـار يـرى أشـياءً لم يكـن يراهـا ويسـمع أشـياءً غريبـة، وأصـوات أولاد صغـار، ثـم سـمع كأن أحـدا يناديـه، فلـما نظـر وراءه رأى بابـا مفتوحـا فدخلـه، ولمـا ولجـه رأى بحـرا أحمـر لا نهايـة لـه وسـماؤه حمـراء وشـاطئه ذو رمـل أبيـض، تعجـب نـور كثـيرا مـما يـرى، ثـم مـشى وأوغـل في المجاهـل حتـى رأى أولادا سـودا يلعبـون ليـس لهـم ملامـح ، فلـما رأوه جـاؤوه يجـرون وينادونـه باسـمه:

ـ هيي نور، مرحبا بك.

ـ صار نور يتعجب ويقول: من أنتم وكيف تعرفون اسمي؟

ـ فقال أحدهم: أنسيتنا يا نور؟

ـ قال نور: ومن أنتم؟

قال: نحن إخوتك، كيف لك أن تنسانا.

نور: إخوتي؟ لكن من أنتم؟

قالوا: نحن لعنات نسكن الجحيم، وبدؤوا يضحكون ثم تلاشوا في الفضاء.

لم يفهم نور ماذا يحدث وأين هو، وأكمل سيره حتى رأى جزيرة في ذلك الفراغ، ثم رأى شيئا يجري فوق الماء كالبرق، ونظر إلى البحر وكان هادئا جدا ليس له موج فقط بعض التجاعيد التي تداعب الرمل، فلما رأى الشخص يجري فوق البحر مشى ووضع رجله على الماء فلم تغص، فتعجب غاية العجب وألقى الثانية فإذا هو منتصب فوق الماء، ثم مشى صوب الجزيرة حتى وقف على رملها وصار يحاكي أركانها ويمشي في أحشائها ويتعجب منها، كانت جزيرة غريبة نصفها ترابه أبيض والنصف الآخر ترابه أحمر؛ فالنصف الذي ترابه أبيض أشجاره مورقة خضراء وثماره زاهية وأما النصف الذي ترابه أحمر كانت أشجاره تتوقد بالنار وثماره كرؤوس مقطوعة معلقة من شعورها ، وبين الجهتين نهر كان النصف الذي يلامس الرمل الأبيض باردا والنصف الآخر ساخن ، ونور يتفرج ولا يفهم شيئا ويتساءل أين هو وما هذا المكان؟ وبينما هو غارق في تساؤلاته فإذا به يسمع شخصا وراءه ينادي عليه، فلما انتبه إليه رآه رجلا عشنّقا شديد الطول، فخاف نور كثيرا، فقال له الرجل لا

تخـف لسـت هنـا كي أؤذيك،أنـا هنـا لأن شـخصا يريـدك، ومـشى الرجـل ونـور يتبعـه حتـى أخـذه إلى شيء كالكـوخ ولمـا وصـلا فتـح البـاب وقـال الرجـل لنور ادخـل، فلـما دخـل نـور وجـد خلـف البـاب قـصرا عظيـما وهـو في وسـطه وأغلـق البـاب ورأى شـخصا آخـر يومئ لـه أن يصعـد عـبر الـدرج فصعـد نـور، حتـى قابـل بابـا لمـا وصـل إليـه فُتـح فدخلـه، فـإذ بـه يـرى شـخصا حسـن الصـورة طيـب الملامـح يبتسـم لـه ويقـول:

ـ مرحبا يا نور.

ـ نور : مرحبا يا عم، من أنت؟ وما هذا المكان؟

ـ الرجل: لا يهم من أنا وما هذا المكان ، الأهم أنك هنا؟

ـ نور: ولِمَ أنا هنا؟

ـ الرجل: احك لي أولا كيف الحال هناك أين المكان الذي جئت منه؟.

ـ أطرق نور رأسه حزينا، فقال الرجل:

ـ لا تحزن يا نور، ما بك تكلم.

ثـم حـكى لـه نـور كل مـا جـرى مـن مـوت عـلاء وأمـه والحـرب وو، ثـم بـدأ يهتـزّ ويضطـرب ويقـول:

ـ أيـن أنـا؟ وأيـن أغـدو؟ بـل مـن أنـا أصـلا؟ مـن أيـن جئـت؟ لِمَ كل هـذا حـدث؟ لمـاذا أنـا أتعـذب؟ لمـاذا أُحـرق وأُسـعر؟ ولمـاذا؟ مـا الهـدف؟ مـاذا هنـاك ؟

ـ الرجل: هوّن عليك يا نور اهدأ، فلهذا أنت هنا.

ـ نور : كيف؟ لم أفهم.

ـ الرجـل: اسـمعني يـا نـور جيـدا، إن مرجانـة كانـت تخفـي عليـك أشـياءً

كثيرة، فأنت لست بجن وأخبره بأنه جيء به من الجحيم كما أخبره بأمر النبوءة وخوف الجن من تسلّطه عليهم واستعبادهم إن وصل للخاتم والكتاب، وأن كل الحرب كانت بسببه وعن قوته وأخبره بكل شيء.

ـ فذهل نور مما كان يقوله الرجل لكنه فهم كل شيء مما كان مبهما لديه، ثم قال: أ يعني هذا أنني ابن الحجيم؟ و أنني بالفعل أخ لأولئك الأطفال الذين التقيتهم قبل قليل؟ وكنت لعنة على بني الجن؟

ـ الرجل: إنها الحقيقة يا نور.

ـ ثم دمعت عيناه وقا : لمَ يا أمي أخفيت عني كل هذا، لو أني عرفت لما مات أحد بسببي، وما كان شيء قد وقع.

ـ قال الرجل: الآن وقد عرفت كل شيء بقي عليك أن ترجع للدنيا وتقرر أمرك.

ـ نور: لقد قررت.

ـ ثم أشار الرجل إلى باب وقال: ذاك الباب سيوصلك إلى الدنيا، وهناك أخبرهم بما قرّرت.

ثم اتجه نور صوب الباب وودّع الرجل ثم فتحه وعبر منه، بينما ملوك الجن وعرمد في ذلك الاجتماع إذ بوهج يتوهج ويسطع وفُتح باب وخرج منه نور، فصُعق كل من كان داخل القاعة وأذهب الوجل لون وجوههم، وجمدت الدماء في عروقهم من شدة الخوف، فذهل عرمد وراح يجري صوب أخيه ويحضنه، ويقول:

ـ أين كنت لقد أوجلتنا وأحزنتنا، لقد ابيضت عينا شاهيناز من الحزن عليك.

ـ نور: لا تخف كنت هنا فقط، كيف حال شاهيناز؟

ـ عرمد: بخير، فقط خائفة عليك كثيرا.

ـ نـور: لا خـوف عـلي بعـد اليـوم يـا عرمـد، ثـم نظـر للحضـور الخائفـين وقـال: وأنتـم لا كـرب عليكـم بعـد اليـوم؟

ـ عرمد: ما الذي تقوله يا نور؟

ـ نـور: لاشيء يـا عرمـد، لكنـي عرفـت كل شيء، وينظـر للحضـور ويقـول : عرفـت لمـا يسـعون لقتـلي، ولمـا قتلـوا أمـي وأخـي، أنـا آسـف يـا عرمـد لم أكـن أخاكـم كنـت لعنـة عليكـم، لـو لم أكـن لمـا ماتـت أمـي وعـلاء، وأصبحـت أنـت وحيـدا.

ـ عرمد: لا تقل هذا يا نور، لن أكون وحيدا، نحن معا.

ـ نور: لا، لن نبقى معا، أنا سأغادر يا عرمد.

ـ عرمـد: لا أبـدا، لـن تغـادر إلى أي مـكان، سـتبقى معـي، أ دم أمّنـا وأخينـا رخيـص إلى هاتـه الدرجـة عنـدك؟

ـ نـور: لا أبـدا ليـس رخيصـا يـا عرمـد، لكـن لـن يمـوت أحـد بسـببي ثانيـة، و لـن يبـكي أحـد بسـببي، قـدري أني لا أنتمـي إلى هنـا، ثـم نظـر للحضـور وهـو يقـول: كنتـم قادريـن عـلى حقـن كل تلـك الدمـاء، أنـا لم أرد لا ملـك سـيدنا سـليمان ولا حتـى مُلـك مَلـك منكـم، أنـا فقـط كنـت أتمنـى أن أبقـى بحضـن أمـي مـدى الحيـاة، وأبقـى معلقـا بعنـق شـاهيناز مـدى الحيـاة وأصحـو مـع أخـوتي مـدى الحيـاة، لكـن قتلتـم أمـي وأخـي وكثـيرا مـن الجـن، وحتـى أحلامـي، وألصقتـم التهـم بي، وألزمتمـوني دماءهـم، فقـط لأني لسـت منكـم، ولا أحـد مـن الحاضريـن اسـتطاع الـكلام.

ـ شدّ عرمد على كتفي نور وقال: إن لم تصمت سأضربك.

فالتقطه نور في حضنه وبدأ يبكي بكاءً شديدا ويقول:

ـ أنا آسف يا أخي، أنا آسف، لو كنت أعلم لما ماتت أمي وعلاء ولما بكى أحد، ولما أشقيتك من بعدهم، أرجوك سامحني.

ـ تهالك عرمد وصار يضرب ظهر نور ويبكي ويقول: لا أرجوك لا تذهب لم يبق لي أحد غير أرجوك لا تحرقني من بعدك، ابق معي لا تتركني وحيدا فلم يبق لي أحد في الحياة غيرك .

ـ نور: ما الفائدة يا عرمد من الحياة، ومن المحاولة والاستمرار بها وأنت تعلم أن المصير محتوم ومسطّر ومقدر وانتهى الأمر، لماذا تستميت بالقتال والحكم و الجمهور وكل الدنيا ضدك والنتيجة محسومة ليست لصالحك، ثم ما الفائدة أصلا من القتال؟ ستتعب.. ستتعب.. ستتعب.. وتُسحق حتى لا تعود تشعر بالألم ولن تجني فائدة تُذكر، لا يمكن أن أبقى هنا وأكون سببا في تعذيبنا لبعضنا، ثم مسح عينيه وابتسم وهو يقول إني أحبك يا عرمد، وأحبّ أمّي، وأحبّ علاء، و لن أنسى الأيام التي قضيناها معا، لن أنساها أبدا كانت أجمل لحظات حياتي بالتأكيد، وأبلغ شاهيناز محبتي، وشدة اشتياقي لها وظمئي لعناقها، سأشتاق لكما هناك.

ـ عرمد بعينيه الدامعتين: أين هناك لا أريدك أن تموت؟

ـ نور يختفي ويقول: لن أموت يا عرمد، لكني في الجحيم، أنا في الجحيم أحترق. فهو لم يمت لكنه في الجحيم يحترق.